مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

العلاقة بين الحضارة وعلم النفس
سيجموند فرويد نموذجاً: نظرة تحليلية تأملية نقدية

د. سهام رسلي عبدالباسط عسران

مدرس فلسفة التاريخ والحضارة

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2025.346534.2135

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٦) يناير ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

العلاقة بين الحضارة وعلم النفس سيجموند فرويد نموذجًا:

نظرة تحليلية تأملية نقدية

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن تساؤل عريض وهام وحساس للغاية وهو: ما هو دور علم النفس في عملقة الحضارة، وإعطاء مساحة نفسية كبيرة للثقافة مستندين في ذلك إلى أفكار فرويد عالم النفس في إطارها التحليلي، وذلك بمحاولة كشف اللثام والغموض الدائم الذي يكتنف النفس الإنسانية بشعورها ولا شعورها وبتحركها صعودًا وهبوطًا، وبتأثيراتها الجذرية على حياة الإنسان وحضارته وتقدمه.

هذا التقدم المرهون بكفاح النفسي في اتجاه البزوغ والنمو. ومما لا شك فيه أن الحضارة ليست عرجاء، بل هي تمشي على قدمين، القدم الأول: هو التطور المادي – بكافة اشكاله– والقدم الثاني هو التطور الروحي والوجداني والمتمثل في الإنسان بكافة أشكالها، ومنها علي سبيل المثال علم النفس بمضمونه ونظرته التحليلية.. إنه الطموح والتعالي والتسامي، لكي يكون الإنسان من خلال علم النفس التحليلي الفرويدي أكثر قدرة على مجابهة الحياة والواقع الرديء، بطموح قادر بل وتعالي على سخافات الحياة للمضي في مسيرة التقدم والترقي الحضاري.

ولذلك كان بحثنا هذا بمثابة غطاء شامل لكافة جوانب الدراسة من البحث في ذاتية فرويدية إلى أسس التحليل النفسي إلى الحضارة والثقافة وأخيرًا نستلهم الأبعاد النفسية للحضارة (البعد السياسي– الأخلاقي– الديني – الاجتماعي – المرأة نموذجًا) .

الكلمات المفتاحية: المرض النفسي، الرمزية النفسية، النشاط الروحي، الدين الشكلي، الخلاص.

مقدمة :

إن علم النفس– وخاصة علم النفس التحليلي الفرويدي– كان ومازال يحمل أهمية عظمى كما يحمل بين طياته زخيرة عالية المستوى يمكن من خلالها مجابهة الحياة بكافة أشكالها ... وما يهُم في هذا البحث هو كيف يمكن لعلم النفس التحليلي بآلياته وأدواته مواجهة الحضارة، بل كيف يمكن أن يكون فاعلًا مؤثرًا – للغاية – فيها.

إنه التنقيب عن الذات العميقة المتجذرة في علاقتها بحضارة إنسانية متنوعة الاتجاهات والمشارب، إنها الحضارة التي تقوم على التسامح الفكري والبعد النفسي الأصيل الذي له دور مهم في تطوير وجه الحضارة.

وهنا يكون السؤال ضروريًا؛ هل هناك حتمية Determinism في استخدام علم النفس في تطوير السلوك الحضاري؟ الإجابة نعم وهو ما كشفت عنه نتائج هذا البحث من جوانب هذه الرؤية، إن علم النفسي – كما نعرف – هو مذهب حيوي vitalism وهو الجانب الحيوي vital side والمتجدد دائما في الحضارة، فهو حي بالشعور واللاشعور, العقل الفردي والجمعي والكبت والإفصاح.

وهو في كل هذا – كما ترى الباحثة – معلنٌ عن وجود إنسان متحضر من الداخل (حيث النفس الباطنية) ومن الخارج (حيث المظهر الحضاري) .

ولذلك ركز هذا البحث على الشق العملي وعلم النفس عند فرويد وتوجهاته العلمية غاية في الأهمية، لمعرفة مظهر مهم من مظاهر الحضارة وهي حضارة الوعي والشعور والسلوك .

وقد كشفت نتائج هذا البحث عن إمكانية أن يكون فرويد مؤسسًا لفلسفة الحياة بكافة أشكالها؛ لأنه بعلم النفس التحليلي استطاع أن يخوض غمار الدين والسياسة والحضارة والجنس والتاريخ موضحًا لنا كيف يمكن الخلاص salvation من ضغوط الحياة وآلام النفس.

ومن ذلك المنطلق لا يمكن – أبدًا – اعتبار المذهب النفسي الفرويدي مذهبًا تجريديًا abstractive ؛ لأن النفس – بالفعل تقوم بدور الرقيب censor على الحضارة من قرب ومن بُعد .

وعليه لا يمكن اعتبار علم النفس غاية purpose في حد ذاته، بل إنه غاية حضارية يحاول بكافة أشكاله أن يكون كاملًا perfect. وليس هذا فقط؛ بل أن يكون إضافة حقيقية ذات طابع حضاري حيوي ومتحرك وديناميكي وليس إستاتيكيًا.

ولا يمكن لعلم النفس التحليلي الفرويدي أن يكون فوق الطبيعةsuper nature بل هو الطبيعة الإنسانية نفسها ولذلك فنحن نراه متواطئًا univocal مع الحضارة محاولًا تغيير المسار للأفضل متكئًا إلى وخز الضمير Remorse في علاقته بالسلوك الأخلاقي السوي والمتحضر؛ وذلك لأن علم النفس هو النشاط الروحي spiritual activity كما يمكن اعتباره – ومن وجهة نظرنا – المفتاح الحقيقي Real key للتصور الحضاري الحقيقي أيضًا.

وأخيرًا إذا كان فرويد يجعل على عرش العالم إلهين الأول هو إيروس (إله الطاقة والحياة إنه رباط الحب) , والإله الآخر هو أنانكية (إله الضرورة التي تشد الناس إلى العمل والتعاون والبناء والتعمير).

ومن هنا – ترى الباحثة – أن أهمية بحثها هذا تكمن في اعتبار أن الإله الأول روحي والثاني مادي . وهنا فقط تقوم الحضارة التي تمشي على قدمين هما الروح والمادة (الحب والبناء).

وبين اللذة والواقع تكون الحياة – كما ترى الباحثة – وهنا يظهر دور علم النفس جليًا في صياغة حضارة إنسانية كاملة الأركان.

ولا يجب إهمال جانب التسامي والإعلاء Transcendental وعلاقته بالحضارة؛ إنه الجوهر essence – إن صح هذا التعبير – وفي النهاية يمكن القول أن كل هذه الإضافات المعرفية على التحليل النفسي الفرويدي يرجع في المقام الأول إلى أن فرويد شخصية استثنائية شمولية وموسوعية؛ فلم يكن اهتمامه الأكبر بعلم النفس التحليلي فقط, فقد اهتم بالطب والفلسفة والتاريخ والأخلاق بل والحضارة أيضًا.

إنه تحريك النفس نحو طموح آخر يشمل العالم كله وسوف يظهر ذلك من خلال موضوعات الدراسة النفسية ذات البعد الحضاري.

منهج الدراسة:

- **المنهج التحليلي**؛ analytic Method الذي تم من خلاله تحليل أفكار فرويد النفسية والحضارية
- **المنهج النقدي**؛ critical Method الذي قامت الباحثة من خلاله بنقد أفكار فرويد في المجالين النفسي والحضاري سواءً بالإيجاب أو السلب، وهذه هي مهمة البحث العلمي والفلسفي.

ولذلك سوف تقوم الدراسة على عدة موضوعات وهي:

١) البحث في الذاتية الفرويدية (شخصيته)

٢) أسس التحليل النفسي الفرويدي

٣) الحضارة والثقافة

٤) البعد النفسي للحضارة عامة ويشمل:

أ- البعد النفسي السياسي عند فرويد (عن الحرب والموت- سيكولوجية الحرب)

ب-البعد النفسي الأخلاقي عند فرويد (الخير والشر وغرائز الأنانية)

ج- البعد النفسي الديني عند فرويد (الإلحاد والإيمان)

د- البعد النفسي لموقف فرويد من المرأة (إنها النظرة الحضارية للمرأة)

نتائج البحث

أولًا : البحث في الذاتية الفرويدية (شخصيته)

إن البحث عن الذات الفرويدية لم يأتِ من فراغ؛ بل هو محاولة لإظهار التوجهات الفكرية والنفسية والدينية والسياسية لهذه الشخصية التحليلية؛ لكشف ما ورائها من موقف حضاري وتوجه أيديولوجي .

ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو عام ١٨٥٦ في فرابيرغ التابعة حاليًا لبتشيكو سلوفاكيا، أبوه " ياكوب فرويد", كان تاجر صوف, هاجر في عام ١٨٤٤ من تسمينيكا التابعة حاليًا لأوكرانيا في الاتحاد السوفيتي، في عام ١٨٦٠هاجرت الأسرة ثانية إلى فيينا. وهناك درس سيجموند فرويد الطب، وتخرج في عام ١٨٨١م . بدأ انشغاله بالأبحاث الطبية قبل تخرجه. وفي عام ١٨٨٥ أصبح محاضرًا جامعيًا في الأمراض العصبية. نشر في الأعوام ١٨٩٣– ١٨٩٥ بالاشتراك مع برويز " دراسات حول الهستيريا", وبهذا الكتاب بدأ التحليل النفسي كعلم نظري. أما كعلم تطبيقي فقد بدأ التحليل النفسي في عام ١٨٩٧, عندما تخلى فرويد عن التنويم المغناطيسي واستخدام طريقة التداعي الطليق. حصل منذ عام ١٩٠٢م على لقب بروفسور في جامعة فيينا، إلا أنه لم يصبح أستاذًا بكرسي أبدًا. [1] وهنا ترى الباحثة ما يكشف عن موسوعيته الطبية واستفادته من علم النفس نظريًا وتطبيقيًا وهذا ما سنحاول تطبيقه على الحضارة والتقدم الإنساني.

تزوج فرويد اليهودي زيجة دينية، لكنه منع ممارسة الطقوس في بيته، وكان على زوجته –مارتا– ابنة الحاخام الأكبر في مدينة هامبورغ، أن تنقل الإرث الديني إلى

[1]) سيغموند فرويد : **الطوطم والتابو** , ترجمة : بو علي ياسين, دار الحوار, ط١, سوريا, ١٩٨٣, ص٥

البيت الأسري : لكن فرويد منعها بالعنف من القيام بهذا الأمر.[١] وهذا ما يكشف – كما نرى– عن موقفه الحر من الدين الذي يؤكد على أهمية الطقوس الدينية، ويكشف أيضًا عن موقف فرويد المؤكد على سلوكية الدين.

بعد تصوير خلفية حياة فرويد في فيينا في السنوات التي تلت الحرب العالمية الكبرى مباشرة، وقبل تناولها بمزيد من التفصيل سيكون من الجيد أن نذكر في البداية الأمور الرئيسة التي حظيت باهتماماته وعواطفه وهي أولًا وقبل كل شيء كان من الطبيعي أن يأتي اهتمامه بعائلته، كانت هناك ثلاثة أحداث سعيدة للتسجيل في اليوم الأول من عام ١٩١٩, أعلن فرويد أن ابنته صوفي أنجبت حفيدًا ثانيًا هو هاينز رودولف الصبي الذي سيجلب لفرويد بعضًا من أعظم السعادة وأكبر الألم في حياته. وفي نهاية العام في ٧ ديسمبر تزوج مارتن الابن الأكبر لفرويد من إستي دراكر في فيينا. وبعد بضعة أشهر في ١٨ مايو ١٩٢٠ تزوج ابنه الأصغر إرنست من لوسي براش في برلين.[٢]

لكن أمل فرويد خاب وكذلك وتطلعاته فعاد إلى فيينا، وعاد من جديد واستخدم التنويم المغناطيسي في المعالجة ونجح نجاحًا معتدلًا، ودرس الأمراض العصبية مستخدمًا طريقة التحدث مع المرضى. [٣] وهو ما يعرف حاليًا بعلم النفس الإكلينيكي، وهو ما يكشف العلاقة الوطيدة بين المريض والطبيب كما ترى الباحثة .

---

[١]) ميشيل أونفراي : **من أسرار فرويد : ميشيل أونفراي: من كتاب أفول صنم الكذبة الفرويدية**, ترجمة : غسان بديع السيد , اتحاد الكتاب العرب, العدد ١٨٧, سوريا , ٢٠٢١, ص٧١

[2]) Ernest Jones, M.D. : **The Life and Work of SIGMUND FREUD**, BASIC BOOKS, INC., New York,1957, p.8

[٣]) ريمة محمود الحصري : **فرويد والتحليل النفسي**, مجلة التربية, العدد ١١٨, سوريا, سبتمبر , ١٩٩٦, ص ٢١٧

أسس فرويد "جمعية الأربعاء للتحليل النفسي" عام ١٩٠٨ وأصدر بعد عام التقويم السنوي للتحليل النفسي ثم الجريدة المركزية للتحليل النفسي عام ١٩١٠, وأعقب ذلك تنظيم المؤتمرات الطبية وإصدار المطبوعات العلمية. وحصل فرويد على عدد من الجوائز التقديرية ومنها جائزة غوته وانتخب عضوًا في " الجمعية الملكية للطب" البريطانية. وبعد الاحتلال النازي للنمسا عام ١٩٣٨ أو ما يعرف بانضمام النمسا إلى الرايخ الألماني، اضطر فرويد إلى مغادرة وطنه ومدينته فيينا، وانتقل إلى لندن ليرحل بعد ذلك بعام واحد عن عمر يناهز الثالثة والثمانين عامًا غريبًا منفيًا ومحبطًا نفسيًا. [1] وهذا الموقف السياسي ومردوده النفسي كان له آثاره على التوجه الفرويدي في مسألة الحرب والسلام.

إن الفكرة التي كانت لدى سارتر عن فرويد، وفحواها أنه زعيم مدرسة نظرية، محدود قليلًا، وفيلسوف غث لا يثبت أمام أي مفهوم من مفاهيم الامتحان، هذه الفكرة زالت من الوجود. ولقد كان مصدر سعادة سارتر أن يرى آراءه تتهاوى، بشرط أن يكون هو المستفيد من ذلك.[٢] وربما لو عاش سارتر حتى يومنا هذا لاعترف بعكس ذلك وخاصة بعد صعود علم النفس ومشكلاته إلى القمة – كما نرى–

[1]) سيغموند فرويد : **الغريزة والثقافة (دراسات في علم النفس)**, ترجمة : حسين الموزاني, منشورات الجمل, ط١, بيروت, ٢٠١٧, ص ١٠

[٢]) ج . ب. بونتاليس : **سارتر يحاكم فرويد**, ترجمة : علي الخش، اتحاد الكتاب العرب, العدد ٥١,٥٠ , دمشق, ١٩٨٧, ص ٢٨١

لم يكن فرويد في شبابه الشاب الفييني الحالم فقط؛ لكنه كان مطبوعًا بعلوم عصره سواء بالفكر الألماني من خلال فلسفة فيورباخ وعلم نفس يوهان هربارت، أو بالفكر والتعليم في فيينا من خلال برنتانو وعالم النفس بروك.[١]

وقد نشر فرويد في عام ١٨٩٣م نشر فرويد نظرياته في أثر التنفيس الفعال, الناجم عن استذكار الذكريات المؤلمة, ومن ثم أضاف في عام ١٨٩٤م نظريته القائلة بأن قصص الحوادث المكبوتة التي مرت بالإنسان ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقضايا ومواضيع جنسية, ومن هنا انطلق بأبحاثه الشهيرة في الجنس, بما في ذلك خبرة الطفولة في الجنس وعالج هذا الموضوع بصراحة جارحة, وسرعان ما أتبع أبحاثه هذه بنظريته في العقل اللاواعي, بوصفه المكان الذي يدفع الإنسان بالأمور المعيبة إلى داخله.[٢] مما يؤكد على اهتمامه بفاعلية الغريزة الجنسية من خلال طاقة الليبيدو –كما ترى الباحثة–

كان فرويد عالمًا موسوعيًا حقيقيًا وكان له العديد من التجسيدات. لقد كان أديبًا، وناقدًا أدبيًا، وباحثًا في تاريخ الدين, وطبيبًا، ومعلمًا.[٣]

كان فرويد ذا موهبة أدبية كبيرة، حتي إنه حاز في عام ١٩٣٠على جائزة غوته في برلين بمناسبة إصدار كتاب تذكاري بالشاعر الألماني العظيم في عام ١٩٣٨, بعد احتلال النازيين للنمسا، وهناك توفي في ١٩٣٩. [4]

---

[١]) مجدي أحمد عبدالحافظ : **كتابات لم تنشر** : فرويد ما قبل فرويد، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, المجلد الثامن العدد ٧٤, القاهرة، أكتوبر ١٩٩١م, ص ١٢٧

[٢]) بسمة بنت أحمد بن محمد: **التحليل النفسي عند فرويد** : دراسة نقدية في ميزان الإسلام، مجلة الدراسات العربية, المجلد الرابع العدد ٢٠ , المنيا, ٢٠٠٩, ص ١٧٨٨

[3]) Dianna T. Kenny : **Freud, Sigmund**, The University of Sydney, Sydney, NSW, Australia, p.2

[4]) سيغموند فرويد : **الطوطم والتابو**, مرجع سابق , ص ٥

إن التقارب بين نيتشه فيلسوف إرادة الاقتدار(الإنسان الأعلى super man) ومكتشف التحليل النفسي هو موضوع مهم للبحث، فنيتشه هو الفيلسوف الثاني بعد شوبنهور الذي تأثر به فرويد وكثيرون من دارسي نيتشه قد أقروا- بشكل أو بآخر- بنوع من الالتقاء بينهما في أكثر من مجال كما أن نيتشه يعد نفسه أول عالم نفس "هكذا يحدد نفسه في كتابه " أصل الأخلاق وفصلها", الذي يقول عنه في "هو ذا الإنسان".

تتنوع المقاربة بين نيتشه وفرويد من أقاصيص حول اهتمام فرويد وجمعية التحليل النفسي بنيتشه كفيلسوف وكحالة مرضية عرضت في جمعية التحليل النفسي بمناسبتين, بالإضافة إلى زيارة كل من جونس وساش إلى اليزابيث نيتشه حديثهما معها عن التقارب بين التحليل النفسي وفلسفة نيتشه, إلا أن اللقاء كان باردًا, كون شقيقة نيتشه ضد اليهود بينما التحليل النفسي هو علم يهودي, كما يذكر الكاتب. يبقى أن نيتشه هو الفيلسوف المعاصر الوحيد لحركة التحليل النفسي الذي أظهرت الحركة تعاطفًا معه . [١]

وفضلًا عن ذلك, فقد كان فرويد موهوبًا في قدرته على الجدل العميق, ولكنه كان يفرض على قدرته هذه وميوله الفلسفية قيودًا صارمة فلا يسمح لها بالانطلاق إلا بالقدر الذي يخوله له استقراء الوقائع. وقد أكد هذا المعنى مرارًا في أبحاثه المنشورة.[٢]

وتوضع أعمال فرويد في مكاتب أمريكا الشمالية تحت مسمى : " فلسفة" مما يعني أن الكتب التي نتجت عن أسلوب الفكر التقليدي الذي نجح في إلهامه, تصنف تحت

---

[١] سعاد حرب : **فرويد ونيتشه** , مجلة الملتقى, العدد ١٦, المغرب, ٢٠٠٧, ص ص ١٥٨,١٥٧

[٢] مصطفى رضوان زيور : **عبقرية فرويد** , مركز الإنماء القومي , العدد١١, بيروت , ١٩٨١, ص١٤

هذا المسمى أيضًا. وبدا اختيار المكتبيين الذين قاموا بوضع المراجع الفرويدية تحت تصنيف الفلسفة صائبًا في نظرهم. وعلى سبيل الاستقصاء التاريخي, ومن جانب فلسفي, كان فرويد أوسع اطلاعًا وثقافة مما يظهره للعلن. وحينما كان يستعد لاستلام مؤهله الطبي, تلاعب أيضًا بكونه استلم شهادة في العلوم الإنسانية متزامنة مع مؤهله.[١] وهنا يبدو التلاحم واضحًا بين الفلسفة (فلسفة الحضارة) وعلم النفس كنموذج للممارسة العقلية.

على الرغم من أن فرويد لم يعترف أبدًا بتأثير داروين على التحليل النفسي؛ إلا أن فرويد كان – بالتأكيد– متفقًا مع التوجه الجديد لما بعد الداروينية. وفي الواقع , فقد اعترف بأنه اتخذ من مقولة شيلر القائلة بأن "الجوع والحب يحركان العالم" " كنقطة انطلاق له".[٢]

❖ أثر فرويد على علم النفس:

أثر فرويد على مئات العلماء الكبار في علم النفس عبر أجيال متعاقبة, وأصبحوا يعرفون بالفرويديين الجدد, وسواهم من العلماء الذين أثروا نظرياته بالبحث والتجريب والتطوير. [٣] ولا يمكن أن نتغافل عن موقف يونج وواطسون من التحليل النفسي الفرويدي.

---

١) بول روزان : **ثلاثة فلاسفة حللوا فرويد (فيتغنشتاين, ألتوسير, بوبر)**, مؤسسة ريم وعمر الثقافية, العدد ١, القاهرة, ٢٠١٨, ص ١٩٩

2) McEnroe, Francis John (1986) **Psychoanalysis and early education : a study of the educational ideas of Sigmund Freud (1856-1939), Anna Freud (1895-1982), Melanie Klein (1882-1960), and Susan Isaacs (1885-1948)**. PhD thesis .Submitted by Francis John NIc Enroe, M. A., M. Ed., for the degree of Doctor of Philosophy, in the Department of Education. Faculty of Social Sciences, University of Glasgow ,September, 1986. P.4

٣) عبد محمد محمد بركو : **دفاعًا عن سيغموند فرويد**, وزارة الثقافة, العدد٥٧٠, القاهرة, ٢٠١١, ص٣٤٤

❖ **أثر فرويد على العلوم الإنسانية:**

أثرت نظريات فرويد السيكولوجية- ولا سيما نظريته في التحليل النفسي- على مختلف العلوم الإنسانية كالفلسفة والتربية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا؛ حيث تدخلت في صميم المفاهيم والنظريات الفلسفية والاجتماعية.[١] مما يؤكد بالدلالات القاطعة على تأثير علم النفس على المجالات الأخرى كالفلسفة والمجتمع وعلم الإنسان وغيرهم –كما ترى الباحثة–

❖ **أثر فرويد على الآداب المختلفة:**

تأثرت الأنواع الأدبية المختلفة بنظريات فرويد السيكولوجية, وكانت أكثر المدارس الأدبية تأثرًا بها هي السوريالية؛ فمنذ بداياتها الأولى ظهر كتاب وشعراء هذه المدرسة أكثر تأثرًا بالتحليل النفسي وديناميات الشعور* وانفلاتات الحلم. ومثلما كان الأثر جليًا في الشعر, كان كذلك في المسرح(مسرح اللامعقول) والرواية والقصة القصيرة (توظيف التداعي الحر).[٢] أي الموقف الذي ينشأ عن تداعي الأفكار.

❖ **أثر فرويد على الفن التشكيلي:**

قبل ظهور نظرية "فرويد" في دور اللاشعور* والحلم في فعاليات النفس البشرية، كان الفن التشكيلي plastic Art مقيدًا ضمن مدارسه المعروفة, كالتعبيرية والواقعية والتكعيبية.. إلخ.

---

[١]) المرجع السابق : الصفحة نفسها

* **الشعور**: هو الوعي الكامل المتصل بالعالم الخارجي, ويتكون من المدركات والمشاعر التي يعيها الإنسان من ذكرياته ولما حوله , وهذا لا يعني عدم إدراك الفرد ما يحيط به لكونه مستغرقًا في الذاكرة بعيدًا عن المكان الذي يقف فيه. **انظر** : سماح دحماني : **ابستمولوجيا التحليل النفسي عند سيغموند فرويد,** رسالة ماجستير, إشراف: بازة الحاج, جامعة المسيلة, الجزائر, ٢٠١٧, ص ٤٥

[٢]) المرجع السابق : نفس الصفحة

وهكذا كان التحليل النفسي ونظرية اللاشعور ثورة في الفن التشكيلي بالقدر نفسه الذي كانت فيه ثورة في علم النفس فكرًا وتنظيرًا وممارسة عيادية للاستشفاء؛ حيث أطلق العنان لمخيلات عشرات الفنانين لرسم أحلامهم وشعورهم. لقد أثرى فرويد الفن التشكيلي وأسهمت نظرياته السيكولوجية ببلورة مدارس فنية جديدة وظهر عمالقة في مجال الفن التشكيلي.[١] مما يؤكد على الصلة العميقة بين علم النفس والفن والفنان نفسه – كما نرى–

❖ **أثر فرويد على مجال السينما :**

أثرت نظريات فرويد السيكولوجية في السينما, فظهرت منذ ثلاثينيات القرن الماضي مجموعة من الأفلام السوريالية منها على سبيل المثال لا الحصر فيلم " كلب أندلسي" ل " لويس بونويل".

وما زالت عشرات الأفلام السينمائية تتوالى سنويًا عبر العالم تقدم رسالة الفن السينمائي متأثرة بالتحليل النفسي وغرائبيات اللاشعور بمضامين جديدة تقدم المتعة والمعرفة النفسية للمشاهد؛ من خلال طرح بعض الأمراض النفسية وطرق معالجتها بالتحليل النفسي. وقد تأثرت بذلك السينما العربية أيضًا.[٢] وذلك من خلال العديد من الأفلام السينمائية والمعالجات الدرامية ذات البعد النفسي ومنها فيلم (السراب) إنتاج ١٩٧٠ بطولة ماجدة ونور الشريف.

---

[١]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢]) المرجع السابق : ص ٣٤٥

٢) أسس التحليل النفسي الفرويدي:

شهد القرن التاسع عشر مولد كثير من المفكرين في نظريات التطور وأصل الأنواع وقد أحدثت تلك الأفكار والنظريات ثورة في مجال الدراسات العلمية المختلفة, حتى لقد قيل أن مذهب فرويد في التحليل النفسي يعد تطبيقًا لنظرية التطور في مجال علم النفس. ولقد ذهب هؤلاء المفكرون بعيدًا .. حتى ضلوا سواء السبيل وتنكبوا الطريق الحق ودخلوا في متاهات الظنون, حتى أنكروا وجود الله تعالى, وبنيت دراساتهم على هذا الأساس الخاطئ, وإذا كان الأساس خاطئًا فإن كل ما بني عليه لابد أن يكون خاطئًا أيضًا، ومن هنا نستطيع أن نقول ان فكرة التحليل النفسي تؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى وإنكار المثل العليا في الأخلاق. ومن العجيب أن يدعي فرويد عكس ذلك تمامًا, ويزعم أن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدي في النهاية إلى تحطيم كل القيم الأخلاقية.[١] وإن كان قد تراجع عن هذه الفكرة في بعض أعماله اللاحقة.

من هنا نفهم أن فرويد كان ملحدًا (كما يرى البعض), وأن نظريته في العلاج بالتحليل النفسي لمختلف الأمراض النفسية , إنما بنيت على فكر إلحادي خاطئ ولنناقش نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي مناقشة موضوعية ومن منطلق علمي بحت ونقارن بينها وبين شفاء الأمراض التي تعتري النفس البشرية بالاتصال بالله تعالى والإيمان به والاستغفار له. يعتقد فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي, أن الأمراض

[١] أحمد شوقي إبراهيم : **نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي**, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, العدد ٢٠٢,القاهرة , ١٩٨١, ص ٨٠

النفسية هي نتيجة كبت لرغبات الغرائز الحسية, تلك الرغبات التي لا يقرها الدين أو لا يرضى المجتمع عنها أو لا يسمح العرف بها .[1]

لقى نظام أفكار "سيجموند فرويد" الذي أطلق عليه اسم "التحليل النفسي" في عام ١٨٩٥, ترحيبًا حارًا في أمريكا وخاصة في نيو إنجلاند, بين عامي ١٩٠٠و ١٩١٥, في الوقت نفسه الذي رُفض فيه على نطاق واسع في أوروبا . اعتمد التفسير التقليدي لشعبية فرويد في الولايات المتحدة على تصور طبيب الأعصاب النمساوي باعتباره عدوًا للبيوريتانية* الأمريكية . وفي هذا السياق, ينظر إلى فرويد على أنه متفائل وعملي. وعلق "فرويد" على أن أمريكا تفتقر إلى أي تقاليد فكرية "عميقة الجذور" من شأنها أن تتحدى التحليل النفسي.[٢]

إن التحليل النفسي – كما أراده فرويد– علم متعدد الجوانب, انه أولًا: منهج تحرٍ واستقصاء يضع في متناول المراقب الكفء السبل والدفعات اللاواعية في سلوك الإنسان العام. وهو ثانيًا: تقنية معالجة للاضطرابات العصابية, قوامها ترك المجال

---

[1]) المرجع السابق : ص ٨١

*) **البيوريتانية** : طائفة مسيحية تمكن منها اليهود بعدة طرق وأساليب أحصاها الدارسون, فاستخدموها بحنكة لخدمة أغراضهم المباشرة في مجالات المال والاقتصاد والسياسة وحتى الحروب بين البلدان, ولم يتعففوا حتى عن تدنيس الدين أو تشويهه فعمدوا إلى مزج عقيدتهم بعقيدتها ما داموا لا يقبلون المتهودين. كانت الكارثة أن ظهرت طائفة البيوريتان تلبس مسوح الرهبان المسيحيين وتحفظ بين جنبيها قلبًا لليهود. **انظر** : كمال عمار لحمر: **البيوريتانية أول طائفة مسيحية تخترقها الصهيونية دراسة في اللغة والعقيدة**, مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد الثاني عشر , طرابلس, ١٩٩٠٥, ص ٤١٢

[2]) Jeanne Connelly Rellahan: **At home among the Puritans: Sigmund Freud and the Calvinist tradition in America Rellahan**, Jeanne Connelly, Ph.D. University of Hawaii. 1988, p.vi

للتداعي الحر بين أفكار المريض وتفهم العلاقة الجديدة الناشئة بين المضطرب الخاضع للعلاج وطبيبه المحلل. إن أهم ما أبرزته هذه التقنية هو الكبت* الذي احتل مركزًا أساسيًا في تطور التحليل النفسي . وهو ثالثًا: مجموعة نظريات بشأن القطاع النفسي ترافق الجانبين الأولين بمثابة دعم تارة أو محصول مستنتج تارة أخرى. ويرسم التحليل وصفًا للجهاز النفسي يتضمن اللاوعي بمثابة مكان أساسي من الأمكنة النفسية المرتبطة جميعها مع دفعات بيولوجية تتخذ في بعض الأحيان اسم غريزة.[1]

أدى ظهور مبادئ التحليل النفسي الفرويدية إلى توجه كثير من الفلاسفة الغربيين إلى إعادة النظر ونقد هذه المبادئ؛ بحيث صار التحليل النفسي مادة للنقد من قبل العديد من المدارس الفلسفية (مثل المدرسة الوجودية), كما تعرضت مفاهيم التحليل النفسي لنظرات انتقادية لدى العديد من الفلاسفة من بينهم جان بول سارتر, ولكن هذه المحاولات النقدية قد أدت إلى تكوين تعاليم فلسفية جديدة تقوم على التعايش بين أفكار التحليل النفسي والفلسفة الغربية.[2]

ولعل أهم أغراض التحليل النفسي سبر أغوار الحياة اللاشعورية, والكشف عن العقد الكامنة في الشعور, فإن هذه العقد المؤلفة من الرغبات المكبوتة والذكريات

---

*) **الكبت** : يحتل مفهوم الكبت مكانًا أساسيًا في نظرية التحليل النفسي ,إنه يكون كما يقول فرويد (حجر الزاوية في فهم الأعصبة) , قد يعاني الأشخاص المصابون باضطراب ما بعد الصدمة في كثير من الأحيان من ذكريات الماضي والذكريات المتطفلة من جراء الحدث الصادم وبالتالي لا يبلغون عادة شيئًا عن الذكريات المكبوتة على الأقل من أحداثهم المؤلمة. **انظر** : مرسلينا شعبان حسن : **حول عودة المكبوت**, مجلة نحو لياقة نفسية أفضل لحياة طبية, العدد ٢٢, ٢٠٢٠, ص٤

[1]) بشارة صارجي : **بنية الظاهرة النفسية عند فرويد**, مركز الإنماء القومي, العدد ٢٣, بيروت, ١٩٨٣, ص١٦

[2]) فاليري ليبن : **فرويد : التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة**, ترجمة : زياد الملا, جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي, المجلد ٢٦, العدد ٢٦, الكويت , ١٩٩٨, ص ١٧١

المنسية والأفكار والمشاعر المتضاربة تحدث اضطرابات نفسية وجسمية مختلفة, وخير وسيلة عند رواد هذه النظرية لشفاء المريض إشعاره بعقدته النفسية, أي إخراج هذه العقدة من الظلمة إلى النور بواسطة أسئلة مباشرة تلقى عليه, وبتأويل بعض أقواله التلقائية, وحركاته اللاإرادية, وبتفسير بعض أحلامه.[1]

ولم يكن فرويد أول من تحدث عن العقل اللاواعي؛ ولكنه سلط عليه أضواء الأهمية والشهرة حينما جعل منه النقطة المركزية لمذهبه. وقد قال فرويد : " إن أمورًا, ولا سيما المعيبة منها, تدفع الإنسان إلى داخل الجزء اللاواعي من العقل. حيث "تتقيح" داخله, فينشأ المرض العصبي, ولذلك فإن الشفاء من هذا المرض مشروط بخروج تلك الأمور من الجزء اللاواعي من العقل إلى الجزء الواعي منه". وتعد نظرية التحليل النفسي من النظريات العامة التي امتدت إلى مختلف فروع علم النفس, فهي حاضرة في مبحث الدوافع, ومبحث الشخصية, وفي علم النفس التربوي والإكلينيكي, وغيرهما بل امتدت خارج علم النفس إلى جميع العلوم الاجتماعية, بل إلى مجالات الأدب والفن, وقل أن تجد مرجعًا في علم النفس لا تحتل فيه صفحات عدة, فهي مدرسة, واتجاه في التحليل, وطريقة في العلاج, أثرت في الأنظمة التربوية, والأساليب العلاجية في الحضارة الغربية بشكل خاص, والعالم بشكل عام.[٢] مما يدل على امتداد واستمرارية أثرها حتى الآن

والإنجاز الأساسي لفرويد هو الكشف عن التعارض بين السلوك والشخصية, وتوصل فرويد إلى أسلوب التداعي الحر وتحليل الأحلام والتحويل والمقاومة بهدف

---

[1]) بسمة بنت أحمد بن محمد : **التحليل النفسي عند فرويد** : دراسة نقدية في ميزان الإسلام , مرجع سابق , ص من ١٧٩١ إلى ١٧٩٣

[٢]) المرجع السابق : ص١٧٩٣

الكشف عن الرغبات الغريزية (الجنسية أساسًا) التي تم كبتها في الطفولة المبكرة, وحتى بعد التطورات اللاحقة في نظريات التحليل والعلاج النفسي والتي أكدت أهمية الصدمات التي حدثت في مجال العلاقات مع الآخرين, وليس في المجال الغريزي فحسب, فإن المبدأ ظل كما هو : إن ما تم قمعه هو الرغبات والمخاوف الصدمية المبكرة, وكذلك المتأخرة منها, والسبيل للشفاء من الأعراض أو الأمراض بشكل عام هو الكشف عن هذه الأمور المكبوتة.[1]

إن المسلمة الأولى في التحليل النفسي هي اللاشعور, وفرويد لم يبتكر لفظ اللاشعور؛ ولكنه أعطاه بعدًا مختلفًا؛ إذ أصبحت له رؤيته الخاصة وعالمه الخاص المختلف عن عالم الشعور. ويمكن رد فكرة اللاشعور إلى أفلاطون عندما تحدث عن نظرية التذكر: فالنفس قد اكتسبت الحقائق في حياة سابقة عندما كانت تعيش في صحبة الآلهة فلما اتصلت بالبدن نسيت ما عرفت إلا أنها بالاستقراء تستطيع الوصول إلى الكامن فيها. أما الأفكار الواضحة فلا تشغل من النفس إلا حيزًا صغيرًا وهي الشعور ونجد تلك الإشارات عند هيجل وشوبنهاور, أما هربارت قال إن المدركات يطغي بعضها على بعض فلا تزول المهزومة بل تتحول إلى رغبة في الإدراك وهكذا تنحدر الأفكار إلى اللاشعور. [٢]

إن يهودية فرويد كانت أقوى بكثير من رغبته في الموضوعية, أو على الأقل من قدرته عليها؛ لأن حركة التحليل النفسي التي أنشأها فرويد إنما استمدت جذورها كما يقول المؤلف من التراث اليهودي الصهيوني, بل إن المؤلف يرى أن المفاهيم الرئيسية لهذه الحركة, أي حركة التحليل النفسي, إنما استقت من نفس المنبع الذي استقت منه

---

[1]) المرجع السابق : ص ١٧٩٤

[٢]) أسعد طرابيه : **فرويد ماله وما عليه**, وزارة الثقافة , العدد ٦٣١, القاهرة, ٢٠١٦, ص ص٤٢,٤٣

الحركة الصهيونية طاقتها وتوجيهها , وأن الحركتين سارتا بعد ذلك جنبً إلى جنب لكي تصلا آخر الأمر إلى غاية واحدة : الالتقاء بشعب الله المختار على أرض الميعاد. [١]

وقد أسهم التحليل النفسي – بقدر أو بآخر– في إخراج هذا الفرع من المعرفة الطبية من جمود دام عليه طويلًا, إن العديد من المفاهيم الفرويدية قد يختلف العالم معها الآن ومستقبلًا في جملتها وتفصيلها اختلافًا جوهريًا وجذريًا أحيانًا, وقد ينكرها, ولكن تبقى في رصيد الحسنات لهذه المفاهيم بعد ذلك أنها قدمت لنا الشخصية الإنسانية في صورة دينامية قد لا نستطيع قبولها كلها, ولكنها برغم ذلك تظل أحد المداخل المهمة في فهم الشخصية, كما تظل نقطة تحول في تفهم العوامل الفعالة في سلوك الإنسان وفي الصحة والمرض على السواء. [٢]

لا يمكننا أن ننكر أن اكتشافات فرويد الأساسية قد شكلت نوعًا من الحدس الفني بأسلوب التأمل الفلسفي (لا سيما في كتاباته المتأخرة) مع الالتزام بقواعد البحث العلمي الدقيق والصارم أحيانًا, ولعل هذه المصادر الثلاثة لاكتشافاته تفسر لنا التناقض في ما وجه إليه من نقد, فقد اعتبره نقاده من أهل العلم أنه يميل إلى الاتجاه الروحاني في أبحاثه في حين أن نقادًا آخرين أخذوا عليه اتجاهه المادي في أبحاثه النفسية حتى قالوا بأن النفس عنده أضحت شيئًا آليًا. [3]

---

[١] صفوان قدسي : **فرويد اليهودي وفرويد الصهيوني** , وزارة الثقافة , العدد ١٧٣, القاهرة, ص ١٩٧٦, ص ص ٧٦,٧٥

[٢] المرجع السابق : ص ٧٦

[3] معاذ قنبر : **الفلسفة في التحليل النفسي** : فرويد ويونغ كنموذج, وزارة الثقافة, العدد٥٢٨, القاهرة, ٢٠٠٧, ص ص ٨٤,٨٣

والجدة الحقيقية للتصور الفرويدي لا تأتي من التصور الجنسي للعصاب حيث تحدث فلاسفة سبقوه عن هذا الأصل بشكل غير مباشر, وإنما تكمن ثورته الفكرية بالكشف عن الدلالة – أي دلالة الظواهر النفسية التي اعتبرت دائمًا فاقدة للمعنى ومن اكتشاف الحيل التي تحتجب وراءها تلك الدلالة, لذلك ليس من قبيل الصدفة أن يعد فرويد أفعال بسيطة كزلات القلم أو فلتات اللسان وهي ظواهر اعتبرت دومًا لا دلالة لها, مدخلًا لدراسة الأعصاب, ومن تلك الفكرة التي اكتشفها أصبح الاهتمام منصبًا على كشف العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول؛ حيث تتجلى المهمة الرئيسة لمنهجية التحليل النفسي الفرويدي من خلال الكشف عن تلك الدلالة من خلال البحث العميق عن دلالات لا يفكر المرء قط بوجودها ومحاولة فك رموز تلك اللغة الرمزية بين الدال والمدلول تشكل الخصوصية للمدرسة الفرويدية في التحليل النفسي؛ حيث تتحول الأفعال النفسية بكل مظاهرها إلى لغة ذات معنى ويغدو الحلم والتعبير العصابي يتصفان بقدرة التعبير بطريقة مقنعة وهذا بالضبط ما أكده (لا كان) من خلال إعادة قراءته لفرويد عندما عَدَ بأن كل نتاجات اللاوعي بما فيها الحلم والعرض العصابي لها دلالتها وبعدها الرمزي.[1] مما يكشف عن قيمة الرمز symbol في حل المعضلات النفسية.

لقد أصبح التصنيف الأول للأمراض النفسية الذي وضعه في كتابه " مقدمة في التحليل النفسي" يؤكد له مدى قدرته على الحدس؛ حيث أثبتت ممارسته العلاجية أنه ليس كل مرض قابل للعلاج بالتحليل النفسي ذلك أن الأمراض التي يمكن معالجتها بالأساليب التحليلية هي الأمراض التي تتحقق فيها عملية التحويل اللاشعورية ذلك مثل الهيستريا والعصاب الوسواسي (الوسواس القهري) والأعصبة الخوافية والسوداوية

[1]) المرجع السابق : ص٨٤

والاكتئابية. أما الأمراض النفسية التي لا تتحقق فيها عملية التحويل, تلك الأمراض النرجسية, فهي غير قابلة للعلاج بالتحليل النفسي باعتبار أن توظيف الطاقة النفسية متجه نحو الداخل وليس نحو الخارج أي الواقع ولهذا السبب يبقى العصابي النرجسي حبيس واقعه النفسي الهذياني.[1]

وفرويد الذي" أزعج نوم العالم " باكتشافاته المذهلة على صعيد التحليل النفسي, لاسيما في اكتشافه الأبرز للاوعي ودوره في الوعي* والسلوك, إذ يحرك هذا " الهو" كل شيء من وراء الستارة, وهو مصدر الإبداع وكل شيء جميل أو قبيح , ولكن بالمجمل, على الرغم من تشاؤمه, إلا أنه شديد الإيمان بالعقل . يقول إريك فروم عنه في كتابه (مهمة فرويد) : " إن القوة الانفعالية البارزة, وربما الأكثر حيوية عند فرويد هي رغبته في معرفة الحقيقة, وإيمانه الثابت بالعقل... كان العقل بالنسبة إلى فرويد الطاقة الإنسانية الوحيدة التي تستطيع المساهمة في حل مشكلة الوجود, أو على الأقل تخفيف الألم الملازم للحياة البشرية, والعقل يعفينا من الأوهام, ويحررنا من السلطات التي تقيدنا". وموقف فرويد من العقل يذكرنا بموقف أبى العلاء المعري, والحقيقة يمكن أن يلحظ المرء مواقف مشتركة بين الاثنين! [٢]

---

[1]) سيجموند فرويد : **رسائل فرويد**, ترجمة: نسرين ناضر, الجمعية الفلسفية المغربية , العدد ١٣, المغرب, ٢٠٠٦, ص ٢٢٢

* **الوعي** : إدراك النفس لذاتها, وللأشياء المحيطة, وقدرتها على تصور هذه الذات وهذه الأشياء, والتحكم العقلي بها والحكم عليها وتجربتها. **انظر:** علي عبدالحفيظ مرسي : **مقدمات في الدراسات الثقافية والنقد الجديد**, مجلة الدراسات الإنسانية, المجلد ٥, العدد ١٥, كفر الشيخ, ٢٠١٨, ص ٢٣٢٢

[٢]) ناظم مهنا : **تشاؤمية فرويد**, وزارة الثقافة, العدد ٦٦٨, القاهرة, ٢٠١٩, ص ٢٩٤

ومن المفارقات التي يشير إليها فروم, هو أن فرويد على الرغم من أنه ناطق كبير باسم الجنس, ومشخص للكبت؛ إلا أنه متزمت نموذجي . كان ينظر إلى المرأة على أنها كائن أدنى, وهذا ما جلب له عداء الحركات النسوية التحررية التي وصمته بالرجعية.[١] مما يدل على تناقض فرويد في بعض آرائه وخاصة عن المرأة والتحرر الإنساني.

وتقتضي طبيعة التحليل النفسي أن يكون مكتشف هذا العلم فيلسوفًا من حيث اتساع الأفق, فنانًا من حيث دقة الحس, عالمًا من حيث أساليب البحث . على أن هذه الصفات جميعًا, مهما بلغت من الكمال ما كانت تمكن صاحبها من اكتشاف أعمال النفس ما لم يوفق في تحقيق الشعار الفلسفي الأول, شعار " دلف" : اعرف نفسك بنفسك.[٢] وهو شعار سقراطي سيكولوجي – كما ترى الباحثة–

فقد كان على مكتشف التحليل النفسي أن ينجح فيما لم ينجح فيه الفلاسفة منذ سقراط, فيواجه نفسه, ويخوض غمار أعنف المعارك قاطبة : معركة اكتشاف الإنسان نفسه. ويعلم كل من درس مؤلفات فرويد أن خير ما أنتجه وأكثره أصالة هو كتابه في" تفسير الأحلام" *. ونعلم اليوم أن مادة هذا الكتاب لا تعدو ان أن تكون مقتطفات من أحلامه التي اتخذ تفسيرها سبيلًا لتحليل نفسي أجراه على نفسه, وأن تأليف هذا الكتاب سار جنبًا إلى جنب مع تحليله نفسه .[٣]

---

١) المرجع السابق : نفس الصفحة

٢) مصطفى رضوان زيور : **عبقرية فرويد**, مرجع سابق, ص١٢

*) **وتفسير الأحلام هنا لا يقتصر على أحلام النوم فقط بل أيضًا على أحلام اليقظة – كما ترى الباحثة-**

٣) المرجع السابق : نفس الصفحة

ويقر سيجموند فرويد في كتابه التحليل النفسي والطب العقلي . أن "الاهتمام الرئيس للتحليل النفسي ... هو أن يثبت أن لكل عرض معنى وصلة وثيقة بحياة المريض النفسية. وأول من اكتشف الأعراض العصابية هو فرويد . في دراسته وإعادة بنائه الناجحة لحالة هستيريا". معتبرًا أن العرض المرضي النفسي* دلالة على " تعابير عن أفكار لا شعورية تهيمن على المرضى" ومن أمثلة ذلك " العصاب الوسواسي, فالمرضى تشغل بالهم أفكار لا تهمهم في الواقع ... ويجدون أنفسهم مدفوعين إلى أعمال لا يعود الإتيان بها بأي منفعة, لكنهم لا يستطيعون منها فكاكا", وذلك بسبب " الأفكار والتمثلات المتسلطة" والمرتبطة بسيرورات نفسية لا شعورية . في حين أن المعالجة التحليلية النفسية يمكن تلخيصها في الصيغة التالية : تحويل كل المادة اللاشعورية المسببة للمرض إلى مادة شعورية.[١]

٣) الحضارة والثقافة:

إن نمط حياة الإنسان في بداية وجوده على سطح الأرض كان فرديًا – مكتفيًا بذاته – لكن بمرور الزمن وبحكم تعقد ظروفه الحياتية وتطورها، بتنوع حاجاته والأخطار المهددة لها، ألزمته بتطوير الحياة وطريقة وطبيعة حياته بالانتقال من حياة الفردية والأنانية إلى الحياة الاجتماعية والتي منها تشكل المجتمع فالاجتماع البشري ولد الحاجة إلى التنظيم ، من أجل تنظيم المجتمع بتنظيم سلوك أفراده وذلك بوضع

[١] صبرينة محمد بلقاسم : **قراءة المقاربة الاتصالية الرقمية على ضوء نظرية التحليل النفسي عند سيجموند فرويد** , مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع , العدد ١٩, الجزائر , ٢٠٢٠, ص ص ١١٢,١١١

وسن قوانين وشرائع ودساتير يتم من خلالها نيل الحقوق والقيام بالواجبات من اجل تحقيق العدل. وما يترتب عن هذا الأخير من حياة الرفاهية والاستقرار.[١]

وبالتالي تقاسم الإنسان غيره في الحياة والوجود، بهدف دفع الضرر وتحقيق المنفعة، كل هذه المطامح أسهمت في تنشئة العلاقات الاجتماعية التي على أساسها قام المجتمع. فتحقيق هذه الغاية تعد المحك في تقدمه ومدنيته وتحضره.[٢] وهي دعوة إلى المشاركة الوجدانية وقدرتها على التحريك الحضاري الأمثل – كما نرى –

اشتقت civilization من اللاتينية civis؛ التي تعني المدني أو المواطن الساكن في المدينة, وهذا المعنى قريب من المعنى المقصود في كلام الفلاسفة العرب الذين تأثروا بالترجمات اليونانية عندما كانوا يذكرون أن (الإنسان مدني الطبع)؛ ويعنون بذلك : أنه (اجتماعي), فمدني هنا كانت تعني : (أهلي)؛أي : أنه غير وحشي, وكان هذا الاشتقاق غير متداول حتى القرن الثامن عشر, غير أن الكلمة civilization لم تنتشر بوصفها اصطلاحًا على (الحضارة) خلال هذا القرن.[٣] والحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء كانت نتيجة الجهود مادية أو معنوية.[٤] ومن المعروف أن الجهود المادية تتعلق بالتقدم التقني أما المعنوية فتتعلق بالرقي الروحي.

---

[١] جمال بروال : **الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزوالد اشبنجلر**, رسالة ماجستير غير منشورة, إشراف أ. د/ عبدالمجيد عمراني, جامعة الحاج لخضر باتنة, الجزائر, ٢٠١٢, ص٣

[٢] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٣] خالد محمد أبوالفتوح : **الحضارة**, المنتدى الإسلامي, المجلد ١٣، العدد ١٤٦, عمان, ٢٠٠٠, ص ص ١٢٧،١٢٨

[٤] حسين مؤنس: **الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها)**, سلسلة عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ١٩٨٧, ص١٣

إن كلمة (الحضارة) كلمة لها شأنها واعتبارها ودلائلها, وللوصول إلى معرفة ما بينها وبين الثقافة من وشائج القربى والاتصال؛ ينبغي عرض معنى الحضارة لغة واصطلاحًا, فإن معرفة ذلك من شأنه أن يعزز الوعي التام بما بين الثقافة والحضارة من روابط. والحضارة في اللغة : ضد البداوة, وقد تطلق على العاصمة من كل بلد, والحضارة – بكسر الحاء وبفتحها : الإقامة في الحضر. والمفهوم الأصيل لكلمة (الحضارة) في اللغة العربية : أنها تعني حياة الحضر, والإقامة الثابتة في المدن والقرى, وعكسها البداوة : وهي حياة التنقل في البادية, وقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر منذ كانت بادية , ومنذ كان حضرًا.[١]

ولقد كان المفكر والمؤرخ الاجتماعي (عبدالرحمن بن خلدون) صاحب سبق علمي في البحث عن الحضارة وتعريفها, تبعًا لمدركات عصره وبيئته. لقد أبان أنها : (ذلك النمط من الحياة المستقرة الذي يناقض البداوة, فمنشأ القرى والأمصار يضفي على حياة أصحابها فنونًا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم) وقد عبر عنها ببراعة في كلمتين صغيرتين, يمكن اعتبارهما أكثر تعاريف الحضارة قصرًا واختصارًا مع دلالة واضحة قال : (الحضارة غاية العمران).[٢]

والحضارة عند ابن خلدون : طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية أو حياة المجتمعات المختلفة وهكذا البداوة, ولكن البداوة أقدم (والبدو أصل الحضر), (والحضرة غاية البداوة). ويعرف بعض العلماء الحضارة بأنها مظاهر الرقي العلمي والفني

---

[١]) أحمد عبدالرحيم السايح : **الثقافة والحضارة**, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, العدد ٣٧٥, المغرب, ١٩٩٧, ص ٦٦

[٢]) المرجع السابق : نفس الصفحة

والأدبي والاجتماعي في الحضر, وهناك من يرى أنها هي الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة, فهي مجموع الحياة بصورها وأنماطها المادية والمعنوية).[١]

وتخصص أكثر الباحثين- خاصة العرب- مدلول الثقافة لمظاهر الرقي في الجوانب الروحية والأدبية من دين وأخلاق, وفلسفة, وفنون, ولغة, ومدلول المدنية لمظاهر الرقي في الجوانب المادية من : علوم طبيعية, واختراع واكتشاف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة, وهكذا تتكون الحضارة من الثقافة والمدنية معًا. [٢]

ويقول أحد رجال الفكر : نحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية, نقصد بها في الغالب تراثنا الروحي والتاريخي والفلسفي واللغوي والأدبي والفني. وحين نتحدث عن الحضارة , أو المدنية الإسلامية, لا نقصد بها مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات , وإن كانت من مظاهر الحضارة المهمة, ولكن نقصد من كل ذلك : مجتمعًا متكاملًا مؤلفًا من شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية, ولا توجد حضارات في الأرض تقوم من دون ثقافة ويمكن أن نقول أن كل حضارة في التاريخ عبرت عن نفسها من خلال ثقافة معينة, ونستطيع في هذه الحالة أن نطلق لفظ (المدنية) على الآلة الصماء, أو على مظاهر التقدم التقني, والآلي فحسب, فيكون الربط في نهاية المطاف – وباختصار شديد بين الثقافة والحضارة من جهة ثانية, وبين العلم التجريبي والمدنية من جهة أخرى . والأصل في جميع ذلك هو: الثقافة التي تصوغ الإنسان بوصفه العنصر الفاعل في جميع مظاهر التقدم على كل حال.[٣]

---

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : ص٦٧

[٣] المرجع السابق : نفس الصفحة

ولعل هذا ما قصد إليه الأستاذ الدكتور (مالك بن نبي)– رحمه الله– حين قال : (إن كل تفكير في مشكلة الإنسان, هو تفكير في مشكلة الحضارة, وإن كل تفكير في مشكلة الحضارة, هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة). (وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة, ويكون مصير الإنسان رهنًا بثقافته).[١] ومن هنا ترى الباحثة أن الثقافة النفسية لها دورها المهم في كشف مواطن الغموض في الحضارة بشكل عام.

يفرق بعض العلماء بين الثقافة والحضارة, على أساس أن الثقافة ذات طابع فردي وتنصب أساسًا على الجوانب الروحية في حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعي ومادي, بينما يكاد الاستعمال المعاصر يسوي بين المصطلحين؛ بحيث تكون الحضارة مساوية للثقافة في المفهوم. وحجة المعاصرين في التسوية هي أن التفريق بين المصطلحين يصطدم بالواقع الملموس؛ لأن الحضارة المادية لا تنفصل عن الجانب المعنوي الذي يمثل التراث العلمي بقسميه: النظري والعملي, ويرى بعض الباحثين أنه لا يوجد أدنى فرق أو تعارض بين الثقافة والحضارة والمدنية وجميعها مظاهر للرقي الإنساني, وكل ما يغذي رقي الحياة من روافد هو ثقافة, وحضارة, ومدنية, والخلاف بين الحضارة والثقافة هو خلاف في الدرجة لا في النوع. [٢]

وخلاصة القول : أن هناك عدة اتجاهات لتحديد الصلة بين مفهومي الثقافة, والحضارة, يمكن حصرها على الوجه التالي:

---

[١]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢]) المرجع السابق : ص ٦٨,٦٧

١- اتجاه يرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية, الثقافة تمثل : الجانب العقلي, والروحي, والفكري, والمدنية تمثل : الجانب المادي, فالحضارة بناء على هذا الاتجاه أعم من الثقافة والمدنية .

٢- اتجاه يرى أن الفرق بين الثقافة والحضارة هو فرق في الدرجة, لا في النوع أو بمعنى أدق في الكيفية.

٣- اتجاه يسوي بين الثقافة والحضارة في المفهوم, ويرادف بينهما من جانب, وبين العلم والمدنية من جانب آخر.

٤- اتجاه يقصر الثقافة على الجانب العقلي, والفكري, والروحي, ويقصر الحضارة على المظاهر المادية والاجتماعية. [١]

تمثل الثقافة أو(الحضارة) اللحظة الأصلية والوثيقة الضرورية لتعقل الذات وتكوينها. وهذه المعقولية التي تغير جذريًا من وضع الذات التي اعتبرت إلى حد ما كالفاعل الحقيقي بدون منازع لا تتوقف عند هذا الحد, بل تتواصل بجملة من الاعتبارات المتعلقة بالانحطاط والضعف , أي بالخلل النفسي الحاضر في العدمية والعصاب, وهذا الخلل يفترض بوجه عام مواجهة بين الغريزة* والممنوع الثقافي, بوصفها اللحظة الأصلية لانحطاط نوعية الحياة عند نيتشه وللصراع المتسبب في نشوء المرض عند فرويد.[٢]

---

[١]) المرجع السابق : ص ص ٦٨

*) **والمقصود هنا بالغريزة ليس الغريزة الجنسية فقط بل غرائز أخرى أيضا كغريزة الأمومة والشهرة والمال وغيرهم – كما نرى-**

[٢]) نبيهة قارة : **الحقيقة والحرية عند نيتشة وفرويد** , المجلة التونسية للدراسات الفلسفية, العدد ٤٥,٤٤, تونس , ٢٠٠٩, ص٧٤

وتقتضي الحضارة أن يتنكر الفرد لرغباته, فيكبتها أو يضحي بها من أجل بناء المجتمع ويتولد الصراع بين الذات وكبت المدنية أو الحضارة, والنظم والضوابط الاجتماعية والثقافية التي تفرضها عليه ظروف التغير المستمر للمجتمع وعندما تزداد هذه النظم تعقيدًا تظهر لدى البعض صور من الشعور بالقلق والاغتراب؛ أي أن الاغتراب يعود إلى اغتراب التوفيق بين مطالب وحاجات وإمكانات الفرد وبين الواقع بأبعاده المختلفة . إذا فالاغتراب اضطراب في العلاقة بين الإنسان والموضوع.[١] أي بين الذات والمجتمع (البيئة)

يرى فرويد أن الثقافة ضرورية ودورها إيجابي؛ لأنها أخرجت الإنسان من حالة الطبيعة ومن ثم لا مجال عنده للمطالبة بالعودة إلى "حالة طبيعية", يزعم البعض أنها كانت حالة حرية أصلية؛ لأن الأفراد في هذه الحالة المثالية المزعومة إنما كانوا تحت رحمة الشدة والحظ العاثر.[٢]

٤) البعد النفسي للحضارة عامة

إذا انطلقنا من التصور المألوف للفلسفة باعتبارها تساؤلًا عن الكينونة الأساسية للعالم؛ فإن الإنسان يُعد محورًا للتساؤل الفلسفي عبر العصور؛ لأن الإنسان كمحور للعالم هو المتسائل والمجيب في آنٍ واحد, وتلك الجدلية بين السائل والمجيب تشكل امتدادًا موضوعيًا للجدلية التاريخية بين الإنسان والعالم الموضوعي, بدأت تلك الجدلية من انطلاق الإنسان من العالم لمعرفة نفسه، وبذلك الانطلاق الأولي وضعت الخطوة

---

١) د. نجلاء محمد بسيوني , د. سامح أحمد سعادة : **ضغوط التكنولوجيا وعلاقتها بالاغتراب في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية**, مجلة كلية التربية العدد ١٧٢ الجزء الأول , القاهرة , ٢٠١٧, ص٧٢٠

٢) ف. ت. موار: **فرويد أو الغرائز ضد العقل**, ترجمة : محمد أسليم , مركز الإنماء القومي, العدد ١٤,١٣, بيروت, ١٩٩١, ص ١١٥

الجبارة الأولى نحو المعرفة عن الذات في العالم من العالم. وبعد ذلك عاد الإنسان ليقلب ذلك التساؤل منطلقًا من الذات لمعرفة العالم وهنا بدأت ثورة ثانية هي ثورة سقراطية منطلقة من ضرورة معرفة الانسان لنفسه وعمادها معرفة العالم من خلال الذات, إذا كانت الثورة الأولى خلقت المعارف الطبيعية فإن الثانية خلقت ما يسمي بالعلوم الإنسانية التي محورها الإنسان في العالم, لهذا فإن تلك العلوم ومن ضمنها علم النفس لن تستطيع التخلي عن محورها الفلسفي المتسائل عن الذات في العالم .[١]

ومن هذا المنطلق فإن علم النفس كان – وما يزال– يدخل ضمن الإطار العام للفلسفة الباحثة عن كينونة الإنسان في العالم؛ حيث يؤكد العالم النفسي (يونغ) على هذا الترابط العضوي بين نمطي المعرفة النفسي والفلسفي قائلًا " أظن أنه يوجد من علوم النفس بقدر ما يوجد من الفلسفات؛ وذلك لأن بين علم النفس والفلسفة روابط لا انفكاك منها على اعتبار أن كليهما يشكلان نظام رأي يبحث في موضوع لا يمكن اختباره تمامًا وبالتالي لا يمكن فهمه وفق منهج تجريبي بحت, وعلى ذلك فإن كلا الميدانين من الدروس يحفز على التفكر مما ينتج عنه تشكيل آراء تبلغ من الكثرة حدًا يتطلب معه جهود ضخمة لاستيعابها جميعًا, لهذا لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر؛ لأن كلًا منهما يمد الآخر بمسلماته الأولية الضمنية التي غالبًا ما تكون خافية.[٢] مما يؤكد على التكامل المعرفي بين الفلسفة وعلم النفس وبالتالي بين حضارة تقوم على العقل وعلم نفس يقوم على الشعور واللاشعور.

إن تقسيم ما هو نفسي إلى ما هو واعٍ وما هو لا شعوري هو المقدمة الأساسية للتحليل النفسي, وهو وحده يجعل من الممكن للتحليل النفسي أن يفهم العمليات

[١]) معاذ قنبر : **الفلسفة في التحليل النفسي:** فرويد ويونغ كنموذج, مرجع سابق, ص ص ٨١،٨٢

[٢]) المرجع السابق : ص ٨٢

المرضية في الحياة العقلية. وهي شائعة بقدر أهميتها, وأن يجد لها مكانًا في إطار العلم وبعبارة أخرى, لا يستطيع التحليل النفسي أن يضع جوهر النفساني في الوعي, ولكنه مضطر إلى اعتبار الوعي صفة للنفساني, قد تكون موجودة أو قد تكون غائبة بالإضافة إلى صفات أخرى.[١]

من هذا المنطلق تصبح للجذور الفلسفية لعلم النفس أهمية خاصة دون أن يعود ذلك لأسباب محض تاريخية, فإن بعض الاهتمامات الخلفية لعلم النفس فلسفي في طبيعته بالمعنى الميتافيزيقي والدلالي معًا, لهذا بالذات نجد أن التحليل النفسي اكتسى منذ نشأته كتيار وصفي تفسيري للإنسان طابعًا فلسفيًا اختلفت منهجياته قربًا أو بعدًا عن التصورات الميتافيزيقية حسب مدارسه المتنوعة وتفرعاتها الفكرية, وأحد مصادر حيوية التحليل النفسي تكمن في أنه شكل نوعًا من النظريات الشمولية, وإذا ما استخدمنا المصطلح الأرسطي نقول بأنها نظرية مفتاح استطاعت أن تلج أبوابًا كثيرة فلم تقتصر على دراسة الأحلام والغرائز والأمراض النفسية أو الانحرافات وحسب, وإنما دخلت أبواب الحضارة والدين والفن والاجتماع والميثولوجيات (الأساطير) والتطور وحتى الميتافيزيقا, فأعاد التحليل النفسي النظر في كثيرٍ من المعتقدات السائدة التي يعتمدها الإنسان منذ عهد الفلاسفة اليونان عندما درس السلوك دراسة وصفية ليس فقط من حيث الشرح الوضعي, وإنما من حيث المعنى أيضًا.[٢] وإن كنا نرى أن فلاسفة اليونان أبدعوا في دراسة السلوك نظريًا بل وأنجزوا أيضًا ما هو تطبيقي وممارس في الحياة العملية أيضًا – كما نرى–

---

[1]) James Strachey: **The Ego and the Id** ,1927 London: Hogarth Press and Institute of Psycho- Analysis, p.13

[٢]) المرجع السابق : ص ص ٨٢،٨٣

أ- **البعد النفسي السياسي عند فرويد (عن الحرب والموت – سيكولوجية الحرب)**

لقد تصدت مدرسة التحليل الفرويدي, بجسارة نادرة, لتفسير الحضارة البشرية بكافة أوجهها, البناءة والهدامة, على حد سواء, باعتبار أن تلك الأوجه, جميعًا, إنما هي استجابات لصراعات نفسية عميقة تكمن في أغوار النفس الإنسانية. يستوي في ذلك بناء السد العالي وقصف هيروشيما بالقنبلة الذرية ولا فرق في ذلك بين الصلاة والقتل, ولا بين نظم الشعر وإطلاق الرصاص, ولا بين ممارسة الجنس ورياضة الملاكمة. فكل ذلك لا يعدو أن يكون صورًا متباينة, إما للتعبير عن تلك النزعات التدميرية الجنسية المغروسة بالوراثة في أغوار النفس الإنسانية, وإما التعبير عن محاولات التغلب على تلك النزعات وإعلائها. بل إن تلك المحاولات الأخيرة محكوم عليها بالقصور, حيث " لا فائدة من محاولة التخلص من ميول الناس العدوانية" وخلاصة القول, إذًن أن التركيب السيكولوجي يصبح لدى مدرسة التحليل النفسي سببًا وأصلًا لكل ما عداه, بدلًا من أن يكون نتاجًا للظروف الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.[١]

ولم يقصر أصحاب التحليل النفسي– منذ قامت مدرستهم وحتى يومنا هذا– في تطبيق منهجهم علي مناحي الحياة وظواهرها كافة, بل وشخصياتها التاريخية أيضًا. وحظت ظاهرة النازية بقدر كبير من اجتهادات المحللين النفسيين, لتفسيرها وفقًا لمنطلقاتهم الفكرية. وتركزت جهودهم, في هذا الصدد, على ترسيخ ما يسمى بخاصية

[١] قدري حفني : **سيغموند فرويد والصهيونية**, منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث, العدد ١٩٤, ١٩٨٩، ص ٧٤

"معاداة السامية", وإرجاعها إلى خصائص ثابتة عميقة, تميز اليهود, من ناحية أخرى.[١]

ولم يكن غريبًا, أن يجد الفكر الصهيوني ضالته في الاختزالية السيكولوجية الفرويدية, فتحت عباءتها, وحدها, يمكن التحدث برطانة علمية حديثة عن "سيكولوجية يهودية واحدة" تمتد من العهد القديم إلى القرن العشرين, وتضم, تحت جناحيها, يهود الفلاشا ويهودية الحضارة المسيحية الأوربية ويهود الحضارة الإسلامية الشرقية. فالكل يهود, لهم التكوين السيكولوجي نفسه المتوارث عبر الأجيال, والذي لم تستطع آلاف السنين من الشتات أن تنال من جوهره شيئًا . وتحت عباءة التحليل النفسي, وحدها, يمكن التحدث برطانة علمية جذابة عن الرفض العربي للاحتلال الإسرائيلي للأرض, باعتباره " غيرة من الشقيق الأكثر تفوقًا وحضارة" أو "محاولة للتنفيس عن تلك العدوانية الكامنة, التي لا تجد لها متنفسًا في نظم التربية العربية السائدة"... إلخ. [٢]

ولذلك قوبلت غريزة الموت المفترضة هذه, شأنها شأن كثيرٍ من نظريات فرويد, بشيء من الريبة والتشكك من داخل حركة التحليل النفسي وخارجها على حد سواء. ففكرة أن الإنسان يحمل في داخله بذور دماره ذاته بدت منافية لكثير من المبادئ اللاهوتية والفلسفية بل والعلمية أيضا وكما هي الحال بالنسبة إلى الموقف الثيولوجي, لم يكن ثمة طريقة صالحة لوضع فرضيات فرويد موضع التجريب, ولم يكن دعم وجهة نظره قائمًا بالأساس إلا على المحاكمة المنطقية والمشاهدات الخاصة. [٣]

---

[١]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٣]) سيجموند فرويد: **لماذا الحرب**, ترجمة : عبدالكريم ناصيف, وزارة الثقافة, العدد ٢٩٨،٢٩٩, القاهرة, ١٩٨٧, ص ٨٧

ولنظرية فرويد دلالات علمية مهمة. فكما هو الشأن مع لورينز, فإن الفكرة القائلة بأن التحريض على العدوان هو صفة فطرية من صفات البشر إنما تدل على أنه لا يوجد إلا القليل مما يمكن أن تتوصل إليه الجهود التي تبذل للحيلولة بين الدوافع العدوانية وبين الظهور إلى حيز الواقع. بل الأكثر من ذلك, فإن الفكرة تدل بشدة على أن العنف, (ومثال عليه النزوع إلى القتل), هو الشكل الطبيعي الذي يتخذه السلوك العدواني ما لم توقفه قيود ما . من جهة أخرى, فإن نظرية فرويد القائلة بأن القيود تنمو بنمو تفاعلات الطفل مع عائلته في مسيرته الحياتية, إنما تدل على أن ممارسات تربية الطفل الهادفة لتعزيز الكوابح ضد العدوان لديها كثيرٌ من الأمل في التخفيف من العنف. [١]

وقد أرجع فرويد أسباب إحساسنا الحالي بالغربة في هذه الدنيا إلي عاملين هما : **العامل الأول** : الحرب, يقول فرويد: " لا يمكن القضاء على غرائز الحرب المتأصلة في الإنسان خلال جيل واحد, بل ليس من المستحسن استئصال هذه الغرائز بالكامل . فعلى الناس أن يواصلوا الكفاح , لكن يجب أن يكون كفاحهم مجزيًا : وهذه الأهداف ليست حدودًا وهمية ولا نعرات عنصرية أو شهوات من أجل الإثراء المالي, إنما سلاحنا هو سلاح العقل وحده وليس سلاح المدرعات والصواريخ. يجب أن نكون مستعدين لتقديم التضحيات نفسها لتحقيق السلام, تلك التضحيات التي قدمناها من أجل الحرب ودون أدنى مقاومة. وليس هناك بالنسبة لي ما هو أكثر أهمية من هذا الأمر وكل ما أفعله وأقوله هنا لا يمكنه أن يغير بنية هذا الكون, ولعل صوتي يخدم القضية الكبرى

[١] المرجع السابق : ص ص٨٨،٨٧

وهي : أن يسود الوفاق بين الناس ويعم السلام على الأرض".[١] وهنا يستشهد فرويد بقيمة العقل في وقف الحرب بل ونزع السلام – كما نرى–

ولكن لماذا ترانا أنا وأنت وكثيرًا من الآخرين نرفض الحرب رفضًا قاطعًا؟ لماذا لا نتقبلها كأية مصيبة أخرى من مصائب الحياة الكثيرة الإيلام؟ فهي , بالنتيجة, تبدو أمرًا طبيعيًا تمامًا, ومما لا شك أن لها أساسًا بيولوجيًا* أكيدًا وعلى صعيد الممارسة قلما يمكن تجنبها. وليس ثمة داع لأن يصدمك طرحي لهذا السؤال . فمن أجل التمحيص في مسألة كهذه, ربما يسمح للمرء بأن يلبس قناعًا من التجرد المفترض فيكون الجواب على سؤالي هو أننا نقف من الحرب هذا الموقف لأن كلًا منا له الحق في أن يحيا؛ ولأن الحرب تقضي على كثيرٍ من الأرواح البشرية رغم أن حياتها مليئة بالأمل, ولأنها تؤدي بالإنسان إلى مواقف الخضوع والمذلة وتفرض عليه رغم أنفه أن يقتل أناسًا آخرين, كما أنها تدمر أشياء مادية بالغة القيمة, أشياء بذل الإنسان كثيرًا من الجهد في صنعها. وثمة أسباب أخرى يمكن ذكرها أيضًا, فالحرب, كما هي في شكلها الحالي. لم تعد فرصة يحقق فيها الإنسان المثل العليا القديمة للبطولة, كذلك وبسبب الكمال الذي بلغته وسائل التدمير , فإن الحرب في المستقبل قد تتضمن القضاء التام على أحد طرفي النزاع أو ربما على الطرفين كليهما.[٢]

---

[١] سيغموند فرويد : **الغريزة والثقافة (دراسات في علم النفس)** , ترجمة : حسين الموازني, مرجع سابق, ص ص ١٢٦, ١٢٧

***) وهنا يأتي السؤال هل الإنسان مجبورًا على الحرب والقتل والدمار أو بمعنى آخر هل فطرة الإنسان تدميرية؟ إنه سؤال هام وإجابته قد تكون معقدة.**

[٢] سيجموند فرويد: **لماذا الحرب,** ترجمة عبدالكريم ناصيف, مرجع سابق, ص ١٠٠

إن تدخل "فرويد" على جبهة الحرب ينطوي على طفرة في تحليل الصراع ومع ذلك, عندما تناول فرويد موضوع الحرب في بداية القرن العشرين, فإنه يدخل في مناقشة وجدال فلسفي طويل في الأعمال, على الرغم من أنه لا يكاد يكون مستمرًا أو موثوقًا به من الناحية المفاهيمية . ولم يكن "فرويد" وحده من قبض على العدوان وعواقبه. بل تمكن من العمل ضمن الفصائل المتحاربة على الخريطة الفلسفية. [١]

والعامل الثاني هو الاضطراب الذي حدث في نظرتنا إلى الموت؛ حيث كنا نظن فيها مضي أنها دنيا جميلة مناسبة لنا وكنا متمسكين- إلى الآن- بتلك النظرة أشد التمسك. ولم تكن نظرتنا نظرة سليمة أبدًا, وكنا بالطبع نسلم بأن الموت هو النهاية الضرورية للحياة, وأن كل واحد منا مدين للطبيعة. وينبغي أن يتوقع أنه في يوم من الأيام سيوفي الدين, وبالاختصار أن الموت شيء طبيعي لا يمكن إنكاره ولا سبيل إلى الإفلات منه ومع ذلك فقد تعودنا أن نتصرف كما لو كان الأمر على خلاف ذلك, ونظهر من السلوك الواضح ما يستشف منه أنا قد استبعدنا الموت من الحياة ووضعناه على الرف وأخرسناه, وصرنا كما يقول المثل, نحاول التفكير في أشياء أخرى تصرفنا عن التفكير في الموت.[٢]

وبالطبع فإن الموت الذي نقصده هنا هو موتنا نحن, وكلما تخيلناه تدافعت صوره في مخيلتنا بوصفنا متفرجين, ولذلك فإننا قولنا من خلال التحليل النفسي أننا في

---

[1]) Ruth Zisman: **Displaced Battlefields: Sigmund Freud and the Reading of War Zones** A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy Department of Germanic Languages and Literatures New York University January, 2015, p.6

[٢]) سيجموند فرويد : **الحب والحرب والحضارة والموت**, ترجمة : د. عبدالمنعم الحفني , دار الرشد, ط١, القاهرة, ١٩٩٢, ص ص ٢٨,٢٧

أعماقنا لا نعترف بأننا سنموت, وأننا بمعنى آخر نعتقد في لا شعورنا أننا خالدون . أما عن موت الآخرين, فكل إنسان متحضر يتجنب بقدر المستطاع أن يتحدث عن موت الآخرين على مسمع منهم, بل إنه لا يتصور نفسه يتمنى موت الآخرين دون أن يتهم نفسه في مشاعره ويصف نفسه بالقسوة وسوء النية. اللهم إلا إذا كان طبيبًا أو محاميًا أو شيئًا من هذا القبيل , وكان عليه بالطبع أن يتعامل مع فكرة الموت من وجهة نظره المهنية. ومن غير ذلك فلن يسامح الإنسان المتحضر نفسه إذا تطرق تفكيره إلى تمني الموت للآخرين, خاصة إذا كان في موت الآخرين بعض النفع له كأن يحصل على الحرية أو يكسب بعض المال أو يفوز بمركز من المراكز.[١]

وفيما يتعلق بالعدوانية يرى فرويد أن قمعها أمر أساسي؛ ذلك أنه قد لا يمكن لأي رابط اجتماعي أن يقوم على التساهل مع أفعال القتل والعنف. ولكن قمع عدوانية الإنسان هو شيء جد عسير. فالحضارة ليست سوى واجهة خارجية بالنسبة لعدد من الأفراد الذين لا يحترمونها إلا بكيفية جد سطحية, بفعل الضغط, ولا يتخلون عما يمكنهم ارتكابه في مأمن عن كل عقاب كإلحاق الضرر بالغير عن طريق الكذب والخداع والنميمة والوشاية. ولهذا السبب توفر الجماعات نوعًا من "صمام الأمن" لأعضائها بالسماح لهم – بل وحتى بحثهم على– استعمال العنف على شكل حرب ضد أفراد خارج الجماعة . لكن فرويد يرى أساسًا في الحرب الطريق المفتوح أساسًا للنوايا السيئة, للظلم وفساد الأخلاق, لقمع الأقليات العرقية والسياسية , ولتقتيل الأبرياء (وواضح أن تحليله السيكولوجي هذا يترك في الظل العوامل الاقتصادية والسياسية).[٢]

---

[١]) المرجع السابق : ص ٢٨

[٢]) ف. ت. موار: **فرويد أو الغرائز ضد العقل**, مرجع سابق , ص ١١٥

ب- البعد النفسي الأخلاقي عند فرويد (الخير والشر وغرائز الأنانية)

يُعد سقراط فيلسوف اليونان, ومرجع التفكير والأنساق الفلسفية, من الأوائل الذين قاموا ببلورة البحث الفلسفي, فتركيزه على المسائل الأخلاقية أحال سقراط إلى التعمق في قراءة النفس, فهي العالم الخفي الذي ينطوي فيه العالم الأكبر, والحقيقة التي تشكل محور البحث العلمي هي النفس, ومن الصعب التمييز بين نظرية النفس السقراطية والأفلاطونية على قاعدة التداخل القائم بين فكر الفيلسوف, وعلى حد تعبير الأهواني: " ... ظل سقراط يشقي في البحث عن طبيعة النفس, ولم يبلغ غايته.. فتابع أفلاطون السير على الدرب".[١]

كما نلمس في المايوتيك السقراطي أو ما يعرف بطريقة التهكم التوليدي منجية لازالت حاضرة في البحث النفسي, وهي طريقة المدارس الذاتية في السيكولوجيا, وحتى المدارس العلمية, لا يمكنها الاستغناء عن المنحى الذاتي الذي يكون الموضوع المدروس هو المعبر بين ذاته وعقل الباحث, فالمعرفة الحقيقية عند سقراط تبقى ملك حصريًا للشخص, فمهما كانت الفرضيات ودقتها في تصوير الوضعية السيكولوجية, ولكنها تبقى معلقة باستجابات الشخص, ونسبية النتائج العلمية في الحقول النفسية تثبت ذلك, وما يميز الطرح السقراطي في نظرته النفسية الربط بين الأخلاق والسلوك النفسي, وهذا ما لم تقدر الدراسات المعاصرة على فهمه, والنظرة الدينية عمومًا والإسلامية خصوصًا تؤكد على دور السلوك أو العادات الأخلاقية في تكوين ردود أفعال نفسية,

[١] شريف الدين بن دوبة : **الفهم الفلسفي والنفس: قراءة جينيالوجية**, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, العدد ٣٤٥, القاهرة, ٢٠١٥, ص٣١

والعكس, كما نجد أن بقاء وسيادة الفهم الذاتي كأداة لازمة في التعاطي مع الحالات النفسية عند أهم المدارس السيكولوجية.[1]

إن نظرية فرويد حول نشأة الأخلاق والحضارة, واحدة من نظريات عديدة, حاولت كل منها أن تقدم رؤية محددة , وتصورًا شموليًا, لعملية انبثاق الحضارة والأخلاق في المجتمع الإنساني. ولكن نظرية فرويد تمتاز عن غيرها بأنها اعتمدت الطاقة الرمزية المكتنزة للأساطير في تفسير عدد كبير من القضايا الوجودية للمجتمعات الإنسانية, فاكتست بطابعها الجمالي والسحري الذي جعلها من أكثر النظريات انتشارًا في النصف الأول من القرن التاسع عشر.[٢] إذن فالأخلاق والسلوك الأخلاقي ليس بمعزل عن علم النفس والحضارة أخلاق في جانبها المعنوي.

كما يذهب ماركيوز إلى أن فرويد عرض فكرة الإيروس بوصفها الطاقة التي تكمن في أصل كل حضارة, حيث يرى أن الحضارة قائمة على اخضاع الغرائز الإنسانية للكبت, مما يؤدي إلى أن ارتواء الحاجات الغريزية عند الانسان لا يتوافق مع المجتمع المتحضر, فالتنازل القسري, وتحصيل الارتواء, يؤلفان شرطي التقدم, ويقول فرويد في هذا الصدد " إن السعادة ليست قيمة حضارية" إذ أن السعادة ينبغي أن ترتبط بنظام العمل من حيث هو انشغال مستمر, كما أنها ترتبط بنظام التناسل فيظل الزواج الأحادي (أي الزواج من امرأة واحدة فقط), والقوانين ذات الطابع الاجتماعي, فالتضحية المنظمة بمبدأ الليبدو, وتحويله قصرًا إلى نشاطات وتظاهرات مفيدة اجتماعيًا, إنما هو

---

[1]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢]) علي أسعد وطفة : **الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد,** وزارة الثقافة, العدد ٥٦٦, القاهرة, ٢٠١٠, ص٧١

الحضارة.[١] فالحضارة الحقيقية لا يمكن أن تنتزع السعادة من قلب الإنسان بل هي تمجد السعادة ومردودها على حياة الرفاهية.

والحضارة بهذا المعنى تفرض على الإنسان أنماطًا من القهر, وأنواعًا من التحريمات, أي أن التحضر في أساسه تغيير لطبيعة الإنسان التي خلقت على الفطرة, عن طريق تنحية مبدأ اللذة المباشرة في سبيل الخضوع للأمر الواقع؛ بمعنى أنه كلما ازدادت الحضارة نموًا انتصر مبدأ الواقع على مبدأ اللذة, وازداد التحكم في الغرائز الطبيعية عن طريق النظم والقوانين التي تفرضها الحضارة المتقدمة, مع الإشارة إلى أن مبدأ اللذة لا يختفي تمامًا, وإنما يظل يعبر عن نفسه بواسطة صور غير مباشرة يحاول غيرها التخلص من سيطرة مبدأ الواقع عن طريق الأحلام والإبداع الفني والخيال, وبذلك تصبح تلك الصور عبارة عن متنفس ليعبر المكبوت عن نفسه , فيصبح الكبت الثمن الذي يدفعه الإنسان لقاء تقدمه الحضاري.[2]

إن مشكلة العثور على السعادة في الحياة, التي تشغل بال كل إنسان, هي – إلى حد كبير– مشكلة في الاقتصاد النفسي. إن الكمية التي يمتلكها الفرد من الليبيدو* تختزن نفسها في تجمعات مختلفة, وتبحث عن تفريغ عبر مخارج متعددة الصيغ, فإذا ما وافقت الأنا – العليا على هذه المخارج, وفرغت هذه الشحنة باعتدال, يكون الفرد سعيدًا. وعلى العكس, اذا لم توافق الأنا – العليا على المخارج, أو إذا ما فرغت الشحنة بأقل أو أكثر مما ينبغي, يغدو الفرد تعيسًا. إن علم النفس الحديث لا يضيف شيئا إلى

---

[١]) حسام الدين محمد فياض : **نقد ماركيوز لمفهوم الحضارة في المجتمع الصناعي المتقدم** "حواره مع فرويد", مركز العبيكان للأبحاث والنشر, العدد ٣٤, ٢٠٢٢, ص ٣

[2]) المرجع السابق : ص ٣٥

* **الليبيدو** : هو الطاقة النفسية المتعلقة بالغرائز الجنسية, كما يقصد فرويد بالليبيدو " الرغبة الجنسية المتجهة نحو الموضوع".

الصيغة الكلاسيكية عن السعادة " الاعتدال في كل شيء" سوى أن الاعتدال مطلوب من الأنا– العليا كما هو مطلوب من غيرها.[1]

وفي دائرة هذا التفسير الرمزي لنشأة الأخلاق, يركز فرويد على مفهوم " التابو" أي المحرم والممنوع والمقدس, الذي يولد تحت تأثير مشاعر الخوف من الأرواح والقوى الطبيعية المدمرة, فالتابو يستبطن كطاقة لا شعورية في أعماق العقل الباطن, فتعمل على ضبط التصرفات الغرائزية لدى الإنسان وتنظيمها.[2] وهنا يظهر منهج الاستبطان ودلالاته الواضحة وقدرته على كشف الأعماق عند فرويد– كما ترى الباحثة–

ويرمز الأنا الأعلى إلى الضمير الأخلاقي الذي يتشكل في دوامات الصراع بين الميول الغرائزية وبين الأوامر والنواهي الأخلاقية. ويصف فرويد الضمير بأنه "الأنا الأعلى" وهو المنطقة الأكثر قدسية في الكيان السيكولوجي للفرد, فالأنا الأعلى هو المحكمة العليا في الكيان الإنساني, وهي محكمة معنية بإصدار الأحكام الأخلاقية, وتوجيه الفعل الإنساني توجيهًا أخلاقيًا ينشد الخير والحق والجمال. وإذا كان الأعلى هو الضمير الأخلاقي بعينه, فإن فرويد يرى بأن " الهو" يرمز إلى منطقة الغرائز والميول البدائية في الكيان النفسي, ويمثل منطقة الشهوة والرغبة, ويعبر عن مطالب الجسد تلبية للميول الطبيعية الغرائزية في الإنسان. وعلى هذا النحو يتجلى الأنا الأعلى فيصوت الحق والضمير والقيمة الأخلاقية في الوقت الذي يعبر فيه " الهو" عن صوت

---

[1]) سيجموند فرويد : **البحوث الاجتماعية : دراسة سيكولوجية تنشر لأول مرة وودرو ويلسون,** ترجمة: هاني الراهب, العدد٦١, وزارة الثقافة , القاهرة, ١٩٦٧, ص٥٨

[2] علي أسعد وطفة : **الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد,** مرجع سابق, ص ص ٦٣, ٦٤

الشهوة والرغبة والميل والعاطفة والهوى. وعلى هذا الأساس تتأرجح الحياة الأخلاقية في دوامة الصراع الأبدي ما بين " الأنا الأعلى" (الضمير الأخلاقي) وما بين "الهو" المتمثل في منطقة الرغائب والميول والشهوات, إنه صراع الجسد والعقل, بل هو صراع النور والظلام في كيان الفرد النفسي.[١] أو كما ترى الباحثة صراع الخير والشر في داخل الإنسان وتغلب أحدهما على الآخر.

إلى هذا الحد ظل فرويد يعطي للسلوك الإنساني دورًا مزدوجًا بمقابلته بين " مبدأ اللذة" و" مبدأ الواقع" (الذي يقصد به أساسًا ما تفرضه المجموعة الاجتماعية على الفرد). ويتميز تجاوزه لهذا التصور الأولي بعنوان البحث الذي نشره سنة ١٩٢٠: ما وراء مبدأ اللذة, وهو عنوان يذكر بعنوان كتاب نيتشه: ما وراء الخير والشر. ويدشن هذا البحث تحولًا مهمًا في الفرويدية التي ستنتقل من الآن فصاعدًا من سيكولوجية عيادية, بالمعنى المحدود للكلمة, إلى استدعاء فرضيات نظرية أطلق عليها اسم علم ما وراء النفس؛ وهو مصطلح يعني أيضًا أن هذه الفرضيات وإن كان يتم توسيعها عن طريق التأمل والاكتشافات فإن معيار حقيقتها يبقى هو إثباتها من قبل التجربة العيادية.[٢]

يرى فرويد أن مبدأ اللذة هو وحده الذي يحدد هدف الحياة, ويتحكم من البدء بالعمليات الجهاز النفسي, ولا يمكن لأي من الشك أن يحوم حول نفعه, ومع ذلك يقف الكون قاطبة من برنامجه موقف الخصام والتحدي, فهذا البرنامج غير قابل للتحقيق بالمرة, ونظام الكون بأسره يقف في وجهه, حتى لتساور المرء الرغبة في القول أنه لم يدخل في خطة " الخلق" البتة أن يكون الإنسان " سعيدًا" . وهكذا فإن المجتمع يدفع

---

[١]) المرجع السابق : ص ٦٩

[٢]) ف. ت. موار: **فرويد أو الغرائز ضد العقل**, مرجع سابق , ص ١١٢

ثمن الانصياع لأوامره ونواهيه البعيدة المدى تزايدًا في العصبية, ولا يمكنه تسجيل أي كسب لقاء التضحية, بل هو في الواقع لا يحرز أي كسب. [١]

ويبرز نقد الأخلاق عند نيتشه وفرويد من خلال العناصر التالية:

- ليس الضمير الأخلاقي بجهاز آلي, فهو يتكون تدريجيًا بموجب عملية تبطن.

وهذا الضمير يمثل مؤسسة نفسية متطابقة مع المؤسسة الاجتماعية ومعادية للرغبة. يصح بذلك أن نصف الضمير الأخلاقي " بالوطن الغريب الداخلي" بما أنه امتثالي وغير أصيل.

- إن الأخلاق الاجتماعية لا تسعى إلى أي مقتضى أخلاقي سامٍ, وهي لا تخلو من نفاق.

حسب نيتشه, قوام الأخلاق ليس في سمو الأنا بما هو يطمح إلى الإعلاء والتجاوز, بل في السعي إلى تقليص حيوية الحي.

ويثبت فرويد من جانبه أن الأخلاق تقوم بإحباط المتطلبات الغريزية, وتتجلى منذ البدء كواقع عدائي ومخالف لمبدأ اللذة الذي يجبر باستمرار على نبذ ذاته, وهذا الواقع خطير نظرًا إلى أساليبه المضادة للمتطلبات النفسية.

- إن الأخلاق تنتمي على هذا النحو إلى مجال علم النفس المرضي, وتشكل ظاهرة خاضعة لمقولات سلبية.

ومهمة التأويل تسعى إلى الاستحواذ على " ذلك الشيء المرضي" الكامن في أصل الأخلاق والمكبل للإنسان، فمفاهيم الصحة والمرض تسيطر على مؤلف نيتشه

---

[١] محمد خيدون : **الأخلاق والحضارة عند فرويد ودوركايم** , مركز جيل البحث العلمي , العدد ٢٧, الجزائر, ٢٠١٧, ص١٠٨

"جينيولوجيا الأخلاق" وتبرز إرادة الانتقام بما هي مبدأ التقويم الأخلاقي. وبالفعل تعلن الأخلاق عن إرادة سلبية تقف ضد كل صنف آخر من الإرادة بوضعه في سياق من المعايير والضوابط الإكراهية المحددة للاستحقاق ولعدم الاستحقاق.

على هذا النحو تتجلى الإرادة باطلًا كقدرة على الاختيار فهي قوة تابعة وعاجزة عن كل تأويل ملائم للوجود, وبالتالي فإن السمو الأخلاقي لا يتعلق بجوهر الإنسان بما هو كائن حر, بل يفلت منه ويسيطر عليه, فهو يتأصل في اللاشعور ويضع في داخل الأنا سلطة غريبة تتصف بتفوقها وقساوتها.[١]

يرى فرويد أن الحضارة على تناقض مع السعادة والحرية. لذلك وجب تحويل مبدأ اللذة إلى مبدأ واقع لأن مبدأ اللذة أي تحقيق السعادة ليس قابلًا للتحقيق فهو غير منتج. والحضارة تتطلب مزيدًا من الإنتاج من أجل بقاء المجتمع؛ وهذا يعني أن الحضارة لا تقوم على الفرد بل على الجماعة. فالغريزة الجنسية عندما تكف عن الإشباع الكامل, تخضع لمتطلبات الحضارة وتصبح مصدرًا لإنجازات ثقافية أو دينية.[٢]

إن الأنا الأعلى يمثل القيود الأخلاقية, وكذلك الصبو إلى الكمال, والأنا الأعلى عند الطفل لا يختلف عن صورة الوالدين, بل على صورة أنا هما الأعلى, فهو يمتلئ بالمضمون عينه, ويغدو ممثلًا للتقاليد ولجميع الأحكام القيمية المتناقلة على هذا النحو عبر الأجيال.

---

[١] نبيهة قارة : **الحقيقة والحرية عند نيتشه وفرويد** , مرجع سابق , ص ص ٧٥,٧٤

[٢] أسعد طرابيه : **فلسفة الحضارة** , وزارة الثقافة , العدد ٦٢٣, القاهرة, ٢٠١٥, ص ص ٢٤٨,٢٤٧

صارت الوصايا والمحظورات المفروضة من الخارج، وبكل تقييداتها للتعبير الحر الذاتي عن الأهواء الطبيعية, صارت في أثناء عملية تطور الحضارة البشرية, ملكًا داخليًا نفسيًا للإنسان, بحيث شكلت الأنا الأعلى التي تبرز كرقابة أخلاقية أو ضمير.[١]

يبدو أن فكر سارتر يستطيع أن يعمل كعامل جذري لمعارضة الميل الذي يهدد دومًا بتحويل علم التحليل النفسي إلى وصفات طبية, إذا لم يساعد موقفه على نقض الفرويدية, فإنه قد أدى كعادته دور الضمير, دور اليقظة التي تنمع الإنسان من أن يظل محبوسًا في عقيدته.[٢]

ج- البعد النفسي الديني عند فرويد (الإلحاد والإيمان)

الحوادث النفسية في الدراسات الدينية أو ما يمكن التعبير عنه بالفكر الديني تعكس الجزء أو الأصل الطبيعي في الانحراف, فالغرائز التي تؤلف هذه الطبيعة هي مبدأ كل الشرور, ومرجعٌ لكل التوترات النفسية, فالمخيال الديني في تعاطيه مع القضايا النفسية أحالها إلى علل متعالية ومستقلة على الحادثة النفسية, ومن بين تلك الحالات الصرع والمس وما شابه ذلك من أعراض سلوكية شاذة , أما التعامل الديني مجسدًا في شخصية الأنبياء, فلم يكن التعامل النبوي خرافيًا أو تعاطيًا متعاليًا على الظواهر, فالنفس والحوادث مرتبطة بمسألة التهذيب, الذي يحدثه الفرد والوسط على شخصية المرء, فمن خصوصيات الرسالة الموسوية أنها كانت رسالة موجهة لدحض ومقاومة

---

[١] محمد عبدالأمير جابر : **القمع والكبت عند فرويد ورايش** , مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, المجلد ٣, العدد١٦, الجزائر, ٢٠٢١, ص٣٣٠

[٢] ميشيل كونتا : **التحليل النفسي الوجودي : فرويد, بنزفانغر, سارتر**, مركز الإنماء القومي, العدد ٣ , بيروت, ١٩٨٠, ص٤٧

الانحراف الفكري السائد في المخيال البشري, وهو ما تجلى في تفشي السحر والتجارة به والاعتقاد في صلاحيته, وقصة موسى – سلام الله عليه– في دحض حجة السحرة, وتسليم السحرة بقوة وعظمة إله موسى رسالة إلى المعتقدين وضربة قاضية للمخيال البشري آنذاك, فالحوادث النفسية كأعراض , وكجوهر ليست مستقلة الإرادة وخالية من العناية, والتوجيه, كما نستشف من الحدث الإشارة لحضور الميل إلى الانحراف في الطبيعة البشرية الثانوية وليست الأولية أي الطبيعة الثانية كما يصطلح عليها أرسطو.[١]

سارت الديانة المسيحية, وبعيدًا عن الفكر الديني المسيحي, في خط الإصلاح, إذ لُوحظ أن تفشي الأمراض العضوية والنفسية في عصر المسيح –عليه السلام– جعل من رسالة المسيح موجهة ومتميزة, بآليات العلاج المستخدمة من قبله في علاج المرضى, وإضفاء صورة الإعجاز على الطريقة النبوية في علاج المرض تتعارض مع بعض النصوص التاريخية والموجودة في الأناجيل, إذ أكدت الروايات أن الرسل الذين بعثهم المسيح – عليه السلام– بمهمة الدعوة؛ قد مارسوا أيضًا مهمة العلاج, فالعلاج العضوي أو النفسي لم يكن منوطًا بالسيد المسيح فقط, بل علم تلاميذه سبل العلاج أيضًا, أما حضور النفس في هذه الحالات المرضية فلا يحتاج إلا لقراءة متواضعة في تراث الفكر المسيحي, وقصة مريم المجدلية, وطريقة تعامل المسيح – سلام الله عليه – معها تحمل أو تستبطن الأداء النبوي مع تلك الحالات النفسية, وبالمقابل تجد الفكر الديني لا زال متزمتًا, ومدعيًا لسلطة التعالي في امتلاك السلطة, وهؤلاء المذنبين لا

[١]) شريف الدين بن دوبة : **الفهم الفلسفي والنفس : قراءة جينيالوجية**, مرجع سابق, ص ٢٨

موقع لهم في عالم الكنيسة أو المسجد, وإن كانت هذه المؤسسات قد أصبحت كما يقول توماس مور زريبة لأغنام رجال الدين.[١]

أما النظرية النفسية في الإسلام فأدق وأوسع, فتشمل كثيرًا من المباحث, فتمثلات النفس الثلاث : الأمارة, المطمئنة, اللوامة ؛ تكشف عن الرؤية الموضوعية لبنية النفس الإنسانية التي تتقاسمها قوى متعددة, كما احتلت التربية مكانًا رئيسًا في الرؤية الإسلامية, إذ نلمس نظرية متماسكة في البناء النفسي والعاطفي للأبناء, والقول الذي نتقدم به ليسمن قبيل التعايش العاطفي مع النظرية الإسلامية, فلم تأخذ النفس في التراث الإسلامي صورة واحدة مثل القراءة السلبية والدونية التي وضع الفكر الديني السابق النفس فيها, كما يقتضي العدل مناَ القول أن الحقيقة النفسية واجدة بين جميع الديانات, وما شكل الفارق هو المتدينين, ورجال الفكر الديني بشكل أدق.. ومن بين المسلمات الإسلامية والتي يمكن أن تحل كثيرًا من الإشكالات العلمية في الساحة النفسية المقولة المنسوبة إلى الإمام علي – كرم الله وجهه – والتي تشير إلى الطبيعة البشرية, وموقعها من أصناف الطبائع الأخرى. [٢]

يقول فرويد "في كتابي مستقبل الوهم ١٩٢٧" لم أكن مهتمًا بأعمق مصادر الشعور الديني بقدر ما كنت مهتمًا بما يفهمه الرجل العادي من خلال دينه مع نظام المذاهب والوعود التي تشرح له من ناحية ألغاز الدين. هذا العالم باكتمال يحسد عليه, ومن ناحية أخرى, يؤكد له أن العناية الإلهية الدقيقة ستراقب حياته وستعوضه في وجوده

[١] المرجع السابق : ص ص ٢٨،٢٩

[٢] المرجع السابق : ص ٢٩

المستقبلي عن أي إحباطات يعاني منها هنا. لا يمكن للرجل العادي أن يتخيل هذه العناية الإلهية إلا في صورة أب جليل للغاية.(١)

ومن المعروف عن فرويد أنه علماني ومناهض للدين, ففي كتابه "مستقبل وهم" كان نوعًا ما ممثلًا لوجهة نظر تبحث عن استخدام العلم والتحليل النفسي "لتحرير" الإنسان من المعتقدات الدينية, أما في كتابه "موسى والتوحيد" فلم يعد هناك من شك حول نظرته الخاصة للدين يقول : " فإذا كان بحثنا يؤدي إلى نتيجة تقلل من الدين وتجعله على مستوى المرض العصابي الذي يصيب أفراد مرضانا.." فلقد ترسخ اعتقاده هنا أكثر فأكثر, فهو معاد للدين وللكنيسة. لكن نلاحظ وجود شك عند فرويد, شك يتعلق بالمثل الذي استخدمه ليصل إلى غرضه, إلا وهو التوحيد اليهودي : " ولا يبدأ عدم يقيني إلا عند النقطة التي أسأل نفسي فيها عما إذا كنت قد نجحت أولًا في إثبات ذلك في حالة التوحيد اليهودي الذي اخترته هنا".(٢)

إذا كان التحليل النفسي (أي فرويد) يجعل الفكر الديني سلاحًا, أو آلية دفاعية ضرورية لمساعدة الأنا الأعلى لتخطي القلق الموحى للإنسان من قبل قوى الطبيعة المسيطرة عليه, فإن الفكر الديني اليهودي, مع وصاياه العديدة ونواهيه وطقوسه المعقدة, يشبه بشكل غريب العصاب الهجاسي. وهذا ما قد يكون دفع فرويد لوضعهما على نفس المستوى, لكن ما يميز الاثنين هو أن العصاب يحصل دون علم الفرد والقلق

---

1) Cape and Smith : **Civilization and its Discontents** 1930 London: Hogarth Press and Institute of Psycho-Analysis. New York, p.74

٢) منى فياض : **الدين والعلم في الحضارة الغربية : نموذجان من مدرسة التحليل النفسي : فرويد ويونغ**, دار الكوثر, المجلد ٣, العدد ١٢, دمشق, ١٩٨٩, ص٤٢

الذي يسببه مجهول السبب, بينما ممارسة الطقوس الدينية تحصل بقبول الإنسان ووعيه.[١]

وقد يكون فرويد نفسه فسر سبب هذه الطقوس الشاقة والمعقدة التي على المؤمن اليهودي ممارستها في كتابه "موسى والتوحيد" فإذا كان اليهود قد قتلوا موسى حقًا أو وهمًا فإن ذلك استتبع عقدة ذنب قوية كان على الأنا اليهودي تعلم مواجهتها دائما. عقدة الذنب هذه (المتأنية من قتل موسى ومحاولة مساواة الله) كانت كبيرة لدرجة أن أحدًا لا يحق له رؤية الله أو صورته. وحتى منع لفظ اسمه لفترة طويلة.[٢]

ولنعد الآن إلى فكرة الله الواحد الذي يخضع له كل شيء في حياة الإنسان, فمن هذه الفكرة إلى فكرة الحقيقة العلمية الواحدة, والتي هي وحدها قادرة على إقامة العدالة في العالم, وهي القضاء على الشر, ليس هناك سوى خطوة واحدة.[٣]

يعبر فرويد من جهته بخصوص نظرته إلى الدين عن العقلانية السائدة في عصره والتي ترفض كل خطاب غير قابل للتحقق على مستوى الواقع : "ليس ثمة سلطة تعلو على سلطة العقل, وإذا كانت حقيقة المذاهب الدينية مرهونة بحدث داخلي يشهد على تلك الحقيقة, فما العمل بجميع أولئك الناس الذين لا يقع لهم مثل هذا الحدث النادر.[٤] وهنا ترى الباحثة أن عقلية الحضارة عند فرويد لا تتنافى مع سيكولوجية الحضارة مطلقًا.

---

[١] المرجع السابق : ص٤٥

[٢] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٣] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٤] نبيهة قارة : **الحقيقة والحرية عند نيتشة وفرويد**, مرجع سابق, ص ٧٥

غير أن فرويد – بالإضافة إلى ذلك – يربط ظاهرة الاعتقاد الديني باللاشعور المهيكل بأكمله حول الإلتباس الذي يسود علاقة الرغبة بالواقع. يستمد الدين جاذبيته من كون جذوره متأصلة في اللاشعور؛ أي من حيث إنه يلبي حاجات نفسية عميقة, وهو بذلك قابل لبحوث سيكولوجية واسعة : "قد اكتفيت, وهذا هو الجانب الوحيد الجديد في عرضي, بأن أضفت إلى نقد المتقدمين العظام على بعض الأسس السيكولوجية".[١]

أصبح النظام الطوطمي نظامًا دينيًا, كما هو نظام اجتماعي, يقوم في جانبه الديني على صلات الاحترام المتبادل والرحمة المتبادلة بين الإنسان وطوطمه, ويقوم في جانبه الاجتماعي على التزامات أفراد العشيرة تجاه بعضهم, وتجاه القبائل الأخرى, كان على كل فرد من أفراد عشيرة الطوطم أن ينظر إلى أفراد العشيرة الآخرين بأنهم أخوة وأخوات, وإذا قتل أحد أفراد العشيرة على يد شخص غريب, فإن العشيرة كلها تتضامن للمطالبة بالتعويض عن الدم المسفوح, وإلا فإنها ستنتقم لقتيلها بسبب الاعتقاد أن روح القتيل لا ترتاح إلا بعد الثأر لها. وقد تكون عادة الثأر الموجودة حتى الآن لدى القبائل المختلفة موروثة من هذا الفهم لترابط أفراد القبيلة في السراء والضراء. إنه النظام القبلي الذي يرى فرويد أنه قام في الأصل على تضامن أفراد الطوطم الواحد في كل ما يتعلق بحياتهم المشتركة. لا يجوز للفرد أن يخرج عن إجماع الجماعة في القضايا المتعلقة بالدم, والاتصال الجنسي بامرأة تنتمي إلى الطوطم نفسه.[٢]

لاحظ فرويد أن العقائد الدينية تتمتع بقوة فاتنة وأنها قادرة على التأثير الشديد على الناس. وعندما شرح انتقال البشرية من النزعة الجنسية الطبيعية إلى الحضارية قال بأن

---

[١] المرجع السابق : ص ٧٦

[٢] غسان بديع السيد : **سيغموند فرويد ونظريته في التحريم**, وزارة الثقافة, العدد ٧٠٨،٧٠٩, القاهرة, ٢٠٢٢, ص١٤

الدين قدم للثقافة الإنسانية خدمة جليلة؛ لأنه ساعد على ترويض وقمع الرغبات اللاشعورية التي تعصف بروح كل فرد, لكنه لم يستطع الاستمرار في هذه الوجهة . فقد حكم الدين المجتمعات البشرية فترات طويلة من الزمن. وأتيح له الوقت الكافي لتوفير أسباب السعادة لغالبية البشر. لكن من المشكوك فيه أن يكون البشر قد عرفوا في العهد الذي كان يسود فيه الدين بلا منازع, سعادة أكبر من تلك التي يعرفونها اليوم, ولم يكونوا أكثر أخلاقية. فقد برعوا على الدوام في تحويل الأحكام الدينية, خارجين عن مقاصد هذه التعاليم. فكان الناس يرتكبون المعاصي, ثم يقدمون الأضاحي, أو يعلنون التوبة ومن ثم يمسون أحرارًا في ارتكاب المعاصي من جديد. وفي كل زمن وعصر, لاقت اللاأخلاقية في الدين من الدعم قدرًا يوازي ما لاقته الأخلاقية.[١]

ثم إن الناس بشكل عام غير سعداء فالمرض العصبي هو مصير المحبط والعاجز عن الوصول إلى السعادة, وغير القادر على الجمع بين المتطلبات الداخلية ومتطلبات الدين والحضارة. فالدين يفرض على الجميع, وعلى نسق واحد, طرقه الخاصة للوصول إلى السعادة وللفوز بالمناعة ضد الألم. تعتمد خطته على خفض قيمة الحياة وعلى تشويه صورة العالم الواقعي تشويهًا بالغًا. وهذا نهج يتخذ مسلمة له زجر العقل وتخويفه. بهذا الثمن يفلح الدين بإلباس أتباعه بالقوة ثوب طفالة نفسية, ويزجهم جميعًا في هذيان جماعي. إلا أن المؤمن يرى نفسه مضطرًا في نهاية المطاف إلى الإقرار بأنه لم يعد يستطيع وهو في ذروة الألم, سوى الاستسلام بلا قيد أو شرط. [٢]

---

[١]) عاهدة طالب الامين : **فرويد بين العقلانية والدين** , مركز الإنماء القومي , المجلد ٢٧, العدد ١٣٤،١٣٥, بيروت , ٢٠٠٦, ص١٣٥

[٢]) المرجع السابق : ص ١٣٦

وهنا يطرح فرويد سؤالًا : إذا لم يكن ما أنجزه الدين لإسعاد البشر, وتمكينهم من السيطرة على أنفسهم, ذا قيمة كبرى. ألم نبالغ في ضرورة الدين للبشرية؟ وهل يحق لنا أن نبني على أساسه متطلباتنا الحضارية؟ وهنا نرى أنه إذا كان للحضارة جانبها الروحي (الديني) فلابد أن يفرض التطور الشامل الرؤية الدينية وتأثيرها على الحضارة – كما ترى الباحثة–

الجواب بالنسبة لفرويد: إن البشرية تربح أكثر مما تخسر إذا ما تحررت من عبء الدين . لكن بما أن الدين هو لون من عصاب الفرض على البشرية كلها والتعاليم الدينية هي تركة الماضي العصابية, فإن إمكان استبعاد التصورات الدينية من وعي الإنسان يرتبط بعملية التحليل النفسي المشابهة لتلك التي يستخدمها فرويد وأنصاره في علاج العصابات الفردية. وهو يفترض في هذه الحالة أو تلك, الاستبعاد التدريجي للاشعور واستبداله بالنشاط العقلاني للإنسان, داعيًا إلى تربية غير دينية . مع الاعتراف بصعوبة ذلك؛ لأن التصورات الدينية قد رسخت خلال عصور طويلة في اللاوعي ولا يمكن القضاء عليها بسهولة. [١]

د– البعد النفسي لموقف فرويد من المرأة (إنها النظرة الحضارية للمرأة)

تعد الأسرة هي أول خطوة في تطوير الحضارة ولكن المجتمعات التي أسست الحضارات لم تبرز إلى الوجود إلا بعد أن تجاوز الإنسان الأسرة كوحدة أساسية وكون التجمعات الإنسانية الكبرى. ولقد تمت هذه الخطوة بصورة مشابهة لتكوين الأنا العليا في النفس الانسانية. وبهذا الخصوص يناقش فرويد باستفاضة طبيعة ومظاهر وأهداف الشعور الإنساني أو العاطفة الإنسانية التي يسميها الإنسان الحب ويدعي هنا بأن

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

الأساس في شعور الإنسان بالحب هو الرغبة الجنسية والتي يكون هدفها هو المرأة. وطوال العصر البدائي للإنسان لم تخرج هذه العاطفة عن حدودها أو أهدافها. ويرى فرويد كذلك أن الرجل في تلك المرحلة غاب عنه الشعور بالاطمئنان بسبب الاحتمال القائم دائما بفقدانه هدف عاطفته هذه – أي المرأة_ بسبب الوفاة أو الانفصال مما دعاه كفرد أو أفراد إلى تحوير نوعية هذه العاطفة وتوسيع أهدافها عن طريق sublimation أي التسامي. [١]

ولكي لا يفجع الإنسان بذلك الفقد اتسع نطاق الشعور بالمحبة من المرأة بمفردها أو من الهدف الجنسي بعينه إلى مجموعة أكبر هي أفراد المجتمع كافة, وتحولت العاطفة من عاطفة حب جنسي (EROS) إلى عاطفة الإخوة والمواطنة وتم تحويل تلك الطاقة التي صرفها الرجل في حياته البدائية على إشباع حاجته الجنسية إلى طاقة اجتماعية تنظيمية سمحت لأول المجتمعات الإنسانية بالظهور والتطور. ويلاحظ فرويد هنا علاقة عكسية بين اهتمام الإنسان بإشباع حاجاته الغريزية بالمتعة واللعب ومدى تطور حضارات الإنسان وانجازاته المدنية. إذ كلما سعى المجتمع إلى تسامي وتصعيد وتحويل وتهذيب طاقة الإنسان الجنسية من هدفها المحدود, وكلما عمل المجتمع على خلق الحواجز والحدود والنواهي حول الممارسة الجنسية واشباع الغرائز واللهو بصورة عامة, تسامت غرائز الإنسان ودفعته إلى الالتصاق بأفراد آخرين من المجتمع خارج حدود الجنس الآخر وانصرفت طاقاته إلى أعمال البناء والتشييد والخلق الحضاري.[٢]

---

[١]) منصور أحمد أبوخمسين : **نظرية فرويد وأثرها في البحث التاريخي**, اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة, العدد الثاني, القاهرة, ١٩٩٤, ص٢٠

[٢]) المرجع السابق : ص ص ٢٠،٢١

سيرة النساء اللواتي تعرفن بفرويد ودخلن بيته وحركته التحليلية النفسية هي سيرة الأسرار, والفضائح, وإن لم يكن بالمعنى الأخلاقي للكلمة. وهي أيضًا سيرة المصائر الغريبة من؛ انتحار, وقتل, وإدمان, وهجر للأزواج أو لفكرة الزواج من أصلها..., الأمر الذي يعيد إلى الأذهان تلك الفكرة التي غالبًا ما يعبر عنها العامة من أن الفلسفة وعلم النفس طريق يسلك إلى الجنون. ولكنها في الآن ذاته سيرة نساء أثبتن حضورًا قويًا إزاء عقل عبقري وشخصية ذات سطوة, وفي حركة كانت بمثابة ثورة فكرية عميقة لم يعد العالم بعدها مثلما كان من قبل. [١]

المرأة في حياة فرويد:

نشأ فرويد صغيرًا تحت رعاية مربية كاثوليكية، تفرغت له تأخذه بانتظام للكنيسة، لكنه افتقدها فجأة عندما بلغ السنتين ونصف السنة، كانت تأخذ منه مصروفه، وتحثه على سرقة نقود العائلة، إلى أن ضبطها أحد إخوته وأبلغ الشرطة عنها فسجنت. لكن فرويد لم يفقد عاطفته الشديدة تجاهها ، ولم يكف عن حبها، يصرف النظر عما قيل عنها بعد إبعادها. وربما كانت هذه التجربة أول خيبة أمل بالناس لدى فرويد، هذه الخيبة التي ستتكرر على مدى حياته كلها. فتوقيت موعد اختفاء المربية واكتشاف سرقاتها ، تزامن مع فطامه ومع ولادة أخته (أنا) التي لم يكن يحبها.[٢] ألا يكشف ذلك عن موقف ضمني ضد المرأة عنده؟

---

[١] بول روزن : **الحريم الفرويدي فرويد وأتباعه من النساء**, ترجمة وتقديم : ثائر ديب, دار كنعان للدراسات والنشر, ط١, دمشق, ١٩٩٥, ص ٧

[٢] نضال حمارنة : **نساء فرويد : وخواتمه** , حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, العدد ١٥٩, القاهرة, ١٩٩٨, ص ١٤٤

لم يكتب فرويد كثيرا عن إخوته البنات اللاتي شبههن بأوراق الكتاب، ومثل نفسه وشقيقه إلكسندر بو الغلاقين. وبوصفه الابن البكر كان يتصرف من وحى الثقافة التوراتية التي تمنح الذكر البكر كل المميزات، بالإضافة للسلطة والإرث.. و.. و... طلباته ورغباته مجابة دون مناقشة، كان يقرر لإخوته الكتب التي يجب أن تقرأ. وتروى عنه ابنته (أنا) أنه عندما كان في العاشرة وأزعجه عزف شقيقاته على البيانو أثناء دراسته اختفى البيانو إلى الأبد)، وحرم شقيقاته من الموسيقى التي لا يحب ضجتها.[١] وهذا يتنافى مع قيمة المشاعر الموسيقية عند فيلسوف السيكولوجية.

الأم في حياة فرويد:

امرأة في التاسعة عشرة من عمرها، تزوجت رجلًا يكبرها بكثير ولديه أولاد، كانت جميلة متدينة، وزوجة ثانية مطيعة لأب يفرض سلطانه واستبداده المطلق الشائع في الأسر اليهودية. تلك الأم منحت فرويد حنانا فياضا وثقة لا متناهية بنجاحه كرست كل أيامها وأوقاتها لخدمته ولتلبية رغباته مهما كانت صغيرة، وأدى ذلك إلى تعلقه الشديد بها ودام هذا التعلق إلى أواخر أيامه، كان يزورها كل صباح أحد ويدعوها كل مساء أحد لتناول العشاء، رغم أنه لم يخصص وقتا لأي فرد في العائلة، بما في ذلك (مرتا) زوجته. وقد أرجع فرويد ثقته القوية بنفسه وبنجاحه الدائم إلى الأمان الذي وفره له حب أمه.[٢]

إلا أن الأمان الذي يوفره حب الأم يمكن أن يبعث الخوف من انعدام هذا الأمان، فإلى جانب الثقة كانت التبعية والخوف المقيم من الجوع من احتماله فشل ذلك الحب وفقدان تلك الرعاية. كتب فرويد في إحدى رسائله: «إن رهابي – إذا شئت – هو

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : نفس الصفحة

بؤس، أو بالأحرى رهاب جوع ناشئ عن نهمى من مرحلة الطفولة، وتدعم هذا الرهاب بسبب الظروف الخاصة، أن زوجتى لم يكن لها دوطة (وهذا شئ أفخر به). لذلك كان فرويد يخاف السفر عبر الخطوط الحديدية، ويحاول أن يتجنبه، وإذا كان مضطرًا لا يسافر أبدا لوحده . في كتابه «تفسير الأحلام تحدث عن حلمين يعبران عن ارتباطه الشديد بأمه، مما دفع إيريك فروم أن يستنتج: «إن فرويد كان غلاما يتوقع من أمه تحقيق رغباته كلها، وترعبه فكرة أن تموت.[١]

من المراهقة إلى الزواج في السابعة عشرة من عمره، بعد دخوله الجامعة، تعرف على حبه الأول في الإجازة، فتاة تدعى «جيزيلا فلوس» في الخامسة عشرة من عمرها، وعندما انتهت إجازة الفتاة المدرسية رحلت ولم يرها بعد ذلك، استولت عليه – إثر فقدها – مشاعر الحزن والألم، وعزل نفسه عن الآخرين لفترة ليست قصيرة , بعد هذه الحادثة بثلاثين عامًا زل قلمه أثناء تسجيله تداعيات إحدى الحالات فقد ذكرت المريضة جيزيلا أخرى، لكن فرويد كتب اسم جيزيلا فلوس واضعا إشارة تعجب وجهها إلى نفسه. [٢]

وفي السادسة والعشرين من عمره، خطب مارتا التي كانت ترتاح إليه، اضطر للسفر بعيدا عن مارتا ، لكنه شرح كثيرًا عن دواخله من خلال تسع مائة رسالة غرامية مليئة بالعاطفة الجياشة والغيرة وهاجس الموت. وفي إحدى رسائله إلى مارتا ١٨٨٤ (ويلك منى عندما آتي إليك يا أميرتي، سوف أقبلك حتى أدميك وسوف أغذيك حتى تسمني), وإذا ما تحسنت فسوف ترين من هو الأقوى فتاة صغيرة رقيقة لا تأكل بما فيه الكفاية، أم رجل متوحش كبير يسرى الكوكايين في جسمه.[٣]

---

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : ص ص ١٤٤،١٤٥

[٣] المرجع السابق: ص ١٤٥

وفي رسالة أخرى يستعرض فيها آماله في الزوجة والبيت طاولات وكراسي، أسرة، مرايا ، ساعة حائط لتذكير الزوجين السعيدين بالوقت الذي يمر, مقعد وثير للحظات أحلام اليقظة العذبة، سجاجيد لمساعدة ربة البيت في المحافظة على أرضية الغرف، بياضات رتبت في الخزائن وربطت بشرائط زاهية اللون، فساتين على الموضة وقبعات مزينة بزهور، لوحات على الجدران، كئوس عادية وأخرى ثمينة للخمر والمناسبات المهمة, صحون أطباق.. وعدة التطريز وقنديل السرير. وإن لم يكن كل شيء في مكانه، فإن ربة البيت التي تعلقت بكل قطعة من أثاث بيتها ، تكابد من العذاب والضيق، ويفترض في غرض بعينه أن يشهد الجدية على العمل الذي يضمن حسن سير حياة الأسرة، في حين يدلل غرض آخر على حس بالجمال، أو يذكر بأصدقاء أعزاء، بمدن زارتها الأسرة، بلحظات لا تود أن تنساها .. هل من المفروض أن نسجن قلبينا في مثل هذه الأشياء الصغيرة؟ أجل، بكل تأكيد.. إنني أدرك، بكل تأكيد، كم أنت ناعمة، وكيف تستطيعين أن تجعلي من بيت جنة، وأعلم أنك ستشاركينني اهتماماتي، وإنك ستكونين مرحة وإنما نشطة ومكدة في آن معا. سأدعك تديرين البيت كما تهوين وستجازينني على ذلك بعطفك وبحبك وبتعاليك على السفاسف وزلات السلوك التي كثيرا ما تجعل النساء موضع احتقار. وبقدر ما تسمح لي أعمالي من أوقات فراغ، فإننا سنطالع معا كتبا تروق لنا، وسوف أطلعك على أمور لا يمكن لها أن تثير اهتمام فتاة ما لم تشارك زوجها المقبل حياته الحميمة.[1]

وقد أشار جونز إلى أن فرويد كان يريد لمارتا أن تكون على صورته وكان يتمنى أن تتماهى على نحو مطلق مع آرائه، ومشاعره، ومقاصده أن يرى فيها دمغته ورفيق سلاحه). ويستطرد جونز: لكنها لم تكن لينة العريكة، بل صاحبة شخصية متوازنة قوية

[1]) المرجع السابق : نفس الصفحة

يصعب التأثير عليها. فكتب لها فرويد بعد يأس: " لقد عدلت عما كنت أطالب به، أنا لست بحاجة إلى ذلك الرفيق في السلاح الذي كنت تأملت أن أصنعه منك. فأنا قوى بما فيه الكفاية لأقاتل بمفردي" .[١]

الزوجة وأخت الزوجة:

كانت زوجته مارتا – كأكثر الأمهات اليهوديات– تهتم ببيتها وبمتطلبات زوجها ، حريصة على سعادته وراحته، كأنها لا تريد لنفسها شيئا. أما فرويد فقد روى مرة حلما نسى فيه أن يذهب إلى المسرح ليصطحب زوجته مارتا إلى البيت هذا معناه أن من الممكن لنا أن ننسى الأشياء التي لا أهمية لها)، لذا حاول فرويد التماهي مع مينا أخت زوجته المقيمة معهم منذ عام ١٨٩٦ حتى وفاتها عام ١٩٤١.[٢]

وكانت العلاقة – وظلت– حميمة جدا بين الأختين تهتمان بالتطريز وتعانيان من آلام الصداع النصفي ومن توابع إقيائه. تشاركت مينا ومارتا في السلطة الأمومية، وغض النظر عن معاناة الأولاد من هذه المشاركة، وقد عبرت زوجة (مارتن) ابن فرويد عن استيائها من تدخلات الخالة في محور حياة زوجها. وكان يروق لفرويد أن يحدث مينا عن حالات مرضاه، ويناقش معها أفكاره، لأنه يراها أكثر ثقافة من زوجته ومستمعة جيدة لمفكر. كتب يونج في مقالة له: «إن مينا عبرت له عن قلقها من حب فرويد لها ومن حميمية علاقتهما . أما فرويد نفسه فكتب: «إن مارتا وخطيب مينا طيبان عكسه هو ومينا لأن هواهما برى وليسا طيبين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن جنسية فرويد ظلت مع مارتا بينما انزاح روحيا نحو مينا. [٣]

---

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : ص١٤٦

[٣] المرجع السابق : ص١٤٧

فرويد وفكرة تحرير المرأة:

في رسالة سطرها إلى مارتا يرد بتهكم على آراء (جون ستيوارت ميل) وردت في مقالة كتبها الأخير بعنوان «تحرير المرأة». كتب فرويد: «لا يتضح على الإطلاق من كل ما يقوله، أن النساء كائنات مختلفة – لن نقول كائنات دنيا . وإنما على نقيض الرجال. إنه يقيم موازاة بين وضع المرأة ووضع العبد. والواقع أنه في وسع أية فتاة ترى رجلا يقبل يدها ويغامر بكل ما يملك في سبيل حبها ، أن تكشف له عن خطئه، دون أن تحتاج من أجل ذلك إلى حق الانتخاب أو معرفة القوانين. إن الفكرة الداعية إلى إطلاق النساء في الصراع من أجل الحياة على قدم المساواة مع الرجال محكوم عليها بالفشل سلفا .[١]

فلو كان عليَّ مثلًا، أن أرى في خطيبتي الحلوة واللطيفة منافسًا لي، لانتهيت حتما إلى مصارحتها قائلا – كما فعلت قبل سبعة عشر شهرا – بأنني شديد التعلق بها ، وأنني أناشدها التخلي عن ميدان المعركة هذا ، والانكفاء إلى أعمالها المنزلية الأهدأ طابعا والتي هي في منأى عن كل منافسة. وربما تغلبت يوما التحولات الطارئة على أصول التربية على رقة المرأة التي تنشد الحماية مع أنه على درجة كبيرة من القوة. وقد يكون في مستطاعها آنذاك أن تكسب خبزها اليومي، أسوة بالرجال تماما. وقد تنعدم أيضا، فيما لو حصل ذلك، أسباب حدادنا على أعذب ما يقدمه لنا العالم: أعنى مثلنا الأعلى عن الأنوثة، لكنى أعتقد أن ما من إصلاح قانوني أو إداري إلا وسيبوء بالفشل، لأن الطبيعة قد حددت سلفا مصير المرأة بلغة الجمال والفتنة، والعذوبة، وذلك قبل أن يكون الكائن البشرى قد بلغ سن الارتقاء إلى مكانة في المجتمع. إن القوانين والأعراف ما تزال مدعوة إلى منح النساء عددا من الأشياء التي ما تزال محظورة عليهن حتى

[١])المرجع السابق : نفس الصفحة

الآن. بيد أن مصير المرأة سيظل رغم ذلك، ما كان عليه حتى اليوم ففي شبابها تكون ذلك الشيء اللذيذ الرائع، وفي سن الرشد تكون الزوجة المحبوبة.[١]

نظرية تحت عباءة توراتية:

كان فرويد مثقفًا من الطراز الأول، وابنا بارا للعصر الفيكتوري، تلقى من أمه المتدينة، حد التصوف، ثقافة توراتية خالصة ظلت تهتز كستارة شفافة فوق سطور كتاباته، فقصص الأنبياء في التوراة ركزت على مفاهيم أساسية الأب المقدس مانح البركة للابن البكر.. الغيرة والخداع كأفعال غير مدانة .. الخوف من فقدان البكورية – قصة عيسى ويعقوب .... إلى وضع المرأة في خانة أدنى) . لهذا نرى اليهودي يبتهل في صلاته بخشوع: «أشكرك يارب، لأنك لم تخلقني امرأة»، أما المرأة فتتلوى، وبصوت خفيض: أشكرك يارب لأنك خلقتني وفق إرادتك. تلك النظرة الدونية للمرأة تلاشت مع المنهج المعياري السائد في أوروبا وقتها والمتأثر بقيم الأسرة البطريركية. [٢]

ومن خلال مفهوم الحسد القضيبي عمم فرويد جملة من الأحكام عن المرأة: «لاشك أن واقعة وجوب النظر إلى النساء بوصفهن حائزات على إحساس ضعيف بالعدل مرتبطة بهيمنة الحسد في حياتهن الذهنية، ذلك أن العدل يحتاج إلى تحكم بالحسد وتعيين للشرط الذاتي الذي يمكن فيه للمرء أن يضع الحسد جانبا. كما أننا نعتبر النساء أيضا أضعف في غرائزهن الاجتماعية من الرجال وأقل قدرة على تصعيد غرائزهن ، وأعتقد أن النساء لم يسهمن إلا بقسط ضئيل في الاكتشافات والاختراعات التي شهدها

[١]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢])المرجع السابق : ص ص ١٤٧،١٤٦

تاريخ الحضارة) ورأى أن تقبل النساء للفكاهة وإعجابهن بها أندر بكثير مما يبديه الرجال) . لماذا إذن اختار هذا الطابور من النساء المساعدات ؟ [١]

في النهاية نساء ثم نساء

بعد خلاف فرويد العميق وخسارته لأهم رجاله، أدلر ويونج، شكل لجنة سرية لأتباع التحليل النفسي لكن، وفيما بعد أيضًا اختلف مع جزء كبير منهم منهجيًا أو نظريًا، ولأن فرويد فردى النزعة لم يتقبل مَنْ يختلف معه أو ينتقد أفكاره أو ينافسه. أضحت النساء المعاونات له، أو اللاتي أسند إليهن دراسات يعينها ، بناته بالتبني لاعتقاده أن النساء أقل عنادًا ومنافسة.[٢]

أما عين المتابع فترى أن أغلب تلميذاته ينحدرن من عائلات يهودية أو من عائلات أحد أفرادها من اليهود، أو مسيحيات – نادرات – متأثرات بما جاء في العهد القديم في الكتاب المقدس). وضع الإصبع على هذه الملحوظة يؤكد تأثر العاملين في حقل التحليل النفسي – الفرويديين – بالثقافة التوراتية التي ترى المرأة المخلوق الأدنى، والتابع المخلص المطيع إذ علا شأنه .[٣]

مصائر مؤلمة لنساء مجتهدات

كانت النهايات المفجعة لتلك المحللات انعكاسًا لصراع مرير – في دواخلهن – ظل يعمل على اغترابهن، وظل يعمق اختلالا بين النظرية وواقع حياتهن كنساء كمنتجات حقيقيات ساهمن بجدارة في حركة التحليل النفسي، رغم تماهيهن مع المعلم ذي السطوة صاحب فكرة تقديم خاتمه هدية رمزًا للإخلاص الفكري لكل منهن .

---

[١]) المرجع السابق : ص ١٤٧

[٢]) المرجع السابق : نفس الصفحة

[٣])المرجع السابق : نفس الصفحة

١) **إيوجينيا سوكولنيكا** (محللة الكاتب أندريه جيد البولندية التي ذكرها في مزيفو النقود)، انتحرت بالغاز عام ١٩٣٤، على الرغم من قيام فرويد بتحليلها .

٢) **الدكتورة هيرمين فون هوج** – هيلموت امرأة بالغة الضالة، مشدودة، ممتلئة الجسم وغير أنيقة، كانت واحدة من غير اليهود القلائل والنساء القليلات أيضًا في جمعية فيينا، أنشأت طريقة العلاج باللعب) كوسيلة للاتصال مع الأطفال الصغار كانت تجرى عمليات رصد ومراقبة على ابن أختها منذ كان طفلًا يعيش بكنفها، وعندما بلغ الثانية عشرة قتلها. شكل موتها صدمة عظيمة الجماعة التحليل النفسي.

٣) **هيلين دويتش** طبيبة، وكانت تلقب بـ«هيلين طروادة الجميلة المتألقة و الغالية على قلب فرويد». واحدة من أفضل المدرسين في التحليل النفسي أسست مجموعة – نادى القط الأسود للعب الورق – تضم بعض المحللين الشبان من تلاميذها إضافة لأنداد لها ، تجتمع كل سبت لمناقشة قضايا التحليل النفسي، وهم يلعبون الورق. وعندما كتبت مقالة تحليلية عن (دون كيشوت والدون كيشوتية)، سر فرويد وابتهج كما لو أن أحدًا قدم له هدية ، قدمت دراسة ذات مجلدين (سيكولوجيا النساء) ترجمت إلى لغات عديدة، وضعت فيها قناعاتها المنسجمة مع فرويد وأرادت حث البشر على التخلي عن الوهم بشأن التكافؤ في الفعل الجنسي بين الجنسين».[١]

أصبحت هيلين عام ١٩٢٤ مديرًا لمعهد التدريب في جمعية فيينا للتحليل النفسي. إثر خلاف فرويد مع زوجها طبيب فرويد) ؛ لأنه أخفى عنه إصابته بالسرطان ففقدت علاقتها بريق البهجة بالمعلم، فلم تحتمل فتوره تجاهها. تركت زوجها وهاجرت إلى أمريكا وبدأت تهتم بدراسة الغدد الصماء بسبب عملها مع النساء.[٢]

---

[١]) المرجع السابق : ص ص ١٤٨،١٤٧

[٢])المرجع السابق : ص ١٤٨

٤) الأميرة ماري بونابرت سليلة مباشرة للوسيان شقيق نابليون، متزوجة من الأمير جورج، وكان أخًا لملك اليونان، في عام ١٩٢٦ أرسل فرويد – عن طريق ماري – مبادرته لتأسيس جمعية فرنسية للتحليل النفسي لكنها فشلت لسببين.. الأول: عام وهو أن الفرنسيين لا يتقبلون أفكارا آتية من الخارج بسهولة. والثاني خاص ويتعلق بماري نفسها، فجدها لأمها هو المؤسس اليهودي الكازينو مونت كارلو للعب القمار)، وبسبب تعرضها للتوبيخ من محكمة أثينا بخصوص أموالها (الملوثة)، لكنها بالنسبة لفرويد بقيت الأميرة والممولة والمنقذة، في أحيان كثيرة للمطبوعات التحليلية من أزماتها المالية. أما من الناحية العلمية فلم تقدم شيئا مميزا سوى «دراسة مطولة عن أدجار آلن بو، قدم لها فرويد .[١]

٥) روث ماك برونشفيك أدت دورًا مهما في التوسط بين المحللين الأمريكيين وحلقة فيينا، كانت عضوا في جمعيتي نيويورك وفيينا امرأة صريحة وسريعة الانفعال، مسرفة في التعبير عن عاطفتها، مثقفة مدققة متزوجة من مارك برونشفيك أسند لها فرويد مريضه المهم . [٢] الرجل الذئب – كذلك اهتمت بمرضى الذهان، وكانت أول من استخدم تعبير «قبل أوديبي» كمفهوم أسهم في دراسات سيكولوجيا النساء، ساءت علاقتها بزوجها بعد أن أدمن الكحول، لكنها لم تتخل عنه، إلا أنه طلقها ، كانت تنتابها آلام حادة باعتبارها طبيبة وصفت لنفسها العلاج، وراحت تتناول المنومات والمسكنات القوية إلى أن انزلقت إلى حالة الإدمان – وأحست أن كل ما أحبته ينهار – فغدت تشرب صبغة الأفيون الكافورية، كما يتجرع الكحولي الخمور أصيبت بذات

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : نفس الصفحة

الرئة. ماتت إثر تناولها كمية كبيرة من الأفيون، سقطت في الحمام حيث ارتطم رأسها بالجدار وكسرت جمجمتها. [١]

٦) **جيان لامبل دى جرو** طبيبة هولندية متزوجة من هانز لامبل الذي لم يحتمل تفاني زوجته في سبيل فرويد، وصنف مرضه – دون تحليل من قبل حلقة ابنة فرويد – بالبارانويا. أما جيان فكانت ترى فرويد مركز الأشياء جميعا، لذلك فضلت البقاء في حلقته ولم تهتم لمصير زوجها. ٧) **لو أندرياس – سالومي** – ابنة جنرال روسي بروتستانتي ينحدر من أصل فرنسي، قابلت (نيتشه) عام ١٨٨٢ فأحبها بشغف وأشركته في عائلة ثلاثية ضمتها مع فيلسوف شاب يدعى بول رى، ثم ارتبطت رسميا – على الورق فقط – بالمستشرق أندرياس لمدة ثلاث وأربعين سنة مارست الكتابة (روايات، مقالات قصص... تعرفت على الشاعر ريلكه عام ١٨٩٧ وربطت بينهما علاقة عاطفية وإنسانية متأججة ظلت بالنسبة له وحتى وفاته الإنسانة المغيثة، والصديقة الأم، كان يناجيها ويفضلها عن أي كائن كتب لها الحسرات) وقصائد أخرى، لكن (لو) كعادتها استهانت بكل المغرمين تقريبا لتصبح صديقة ومعاونة لفرويد بالمقابل حافظت على علاقتها الإنسانية بـ (ريلكه) بالمراسلات المتبادلة حتى وفاته تعرفت على فيكتور توسك أحد أنصار فرويد المخلصين ومن المرموقين في مجال التحليل النفسي ساند فرويد في نزاعه ضد كل من أدلر ويونج وكان في أحيان كثيرة ملكيًا أكثر من الملك من أهم إنجازاته دراساته السريرية في الفصام واختلال العقل الهوسى الهمودي.[٢]

شكل فرويد ولو وتوسك ثلاثيًا متوازي الأضلاع، إلا أن اقتراب كل من (لو وتوسك) أكثر، لم يعجب فرويد لأنه كان يفضل أن يتماهي تلاميذه معه.

---

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[٢] المرجع السابق : ص ص ١٤٨,١٤٩

وقد اختلف مع توسك؛ لاحقا وأبدى ملاحظاته حول عمله (يتشبث بإشكاليات سابقة لأوانها) بل على الأكثر لجرأته في استخدام إشكاليات قد يسبق فرويد إليها. بدأ الصراع بين الاثنين يأخذ منحنى خطيرا بالنسبة لتوسك، فوجد أمامه طريقين لا ثالث لهما : إما التمرد على فرويد أو الإحباط الهائل الذي يؤدى إلى الموت, وفي فجر ٣ يوليو عام ١٩١٩ احتسى شرابا وطنيا ثم ربط حبل الستارة حول عنقه وضغط على زناد مسدسه الموجه لصدغه الأيمن، لم يكتف بانفجار دماغه وآثر أن يُشنق وهو يسقط. [١]

كتب فرويد بعد الحادثة لـ (لو): «أعترف أنني لم أفتقده حقا، ومنذ فترة طويلة وأنا أعتقد أن لا نفع منه، بل إنه بمثابة تهديد للمستقبل. رغم صدمتها الموجعة وفقدها الإنسان الحميم ظلت (لو) مخلصة لفرويد، كما أسهمت مع ابنه أنا في التحليل النفسي حتى وفاتها ١٩٣٧ كتبت مرة عن فرويد كلمات – قد يختلف عليها كثيرون من أتباعه – (حين تكون أمام كائن بشرى يشعرنا بأنه عظيم، أليس علينا أن نُعد ذلك بمثابة دافع محرض، بدلا من الارتجاف لمعرفتنا أنه ربما لم يحقق عظمته إلا عبر نقاط الضعف التي لديه ؟.

وأخيرًا، وبعد أن اطلعنا على هذه النهايات الفاجعة لغالبية النساء.. بل وبعض الرجال الذين تبنوا مقولات «فرويد» في علم النفس والتحليل النفسي واشتغلوا على أساسها نظريًا وعمليًا ألا يحق لنا أن نتساءل عن علاقة هذه الخواتيم بما نشأ بعد ذلك في ساحة التحليل النفسي نظريًا وتطبيقيًا من نقد جذري لأفكاره واستخلاصاته وتأسيس مدرسة علم النفس الجديد ؟ [2]

---

[١] المرجع السابق : ص١٤٩

[2] المرجع السابق : نفس الصفحة

وهنا سيكون للباحثة موقفٌ واضحٌ من هذه الأفكار الفرويدية النسوية في نتائج هذا البحث والتي تشمل التساؤل هل هناك نظرة حضارية للمرأة (نصف المجتمع) عند فرويد أم لا؟

نتائج البحث:

بعد عرض النقاط المركزية والأساسية في هذا البحث؛ (العلاقة بين الحضارة وعلم النفس سيجموند فرويد نموذجًا (نظرة تحليلية تأملية نقدية)، تم التوصل إلى العديد من النتائج والتي يمكن إجمالها في عدة نقاط هي :

١) عن فرويد ذاتية موقف:

أ- إن فرويد ليس هو الحالم لا, بل والمتحقق من أحلامه والمحقق لها, إنها النزعة الباطنية ذات البعد الخارجي (قدم لنا صورة للذات من الداخل والخارج)؛ وكأنه يستعين بهذه الصورة لكشف مردودها الإنساني على الحضارة والتقدم وبين العقل الواعي واللاواعي حتى تكون النتائج هادفة ومثمرة.

ب- يُلم فرويد بكل خيوط العلم؛ الدين والطب والعلم عامة وعلم النفس خاصة، بل ويلم وأيضًا بالمجتمع والسياسة والفن وفي مقدمة كل ذلك كان ملمًا بعلم النفس؛ ذلك لينسج نتائج عامة مترابطة تجمع بين العام والخاص, وبين الدراسة والتطبيق أي النظري والعملي.

ج- إن فرويد يجمع بين التحليل النفسي والفلسفة مما جعل منه نموذجًا وطرازًا mode خاصًا بنكهة فرويدية إنه نموذج فلسفي حضاري بتداخل علم النفس مع فلسفة الحضارة بصياغة نوع جديد من الفكر المفعم بالفهم والإدراك العلائقي بينهما واستقراء الواقع بشدة, ولذلك صُنفت كتبه تحت اسم الفلسفة لما لعلم النفس عنده من بُعد فلسفي

أصيل ومنهجية تحليلية. ومن المعروف أن المنهج التحليلي والتفكيكي هما من مناهج الفلسفة العميقة بالإضافة إلى المنهج النقدي.

ومن هنا جاءت فلسفة الحضارة لتعلن عن نفسها كذاتية ومرجعية نفسية، وليس أدل على ذلك أكثر من كتاب فرويد القيم للغاية (الحب والحرب والحضارة والموت ١٩٩٢).

د- ولذلك كان الجوع والحب بركان العالم كما قالها شيلر والتزم بها فرويد, إن فرويد كعالم نفسي يؤكد أن الحضارة هي حضارة الامتلاء والشبع، وإن لم تكن كذلك فلا وجود حضاري يذكر- كذلك الحب هو أساس العلاقات الإنسانية الراقية .

إذن فكلاهما سلبًا وإيجابًا يحرضان على الحضارة بالتخلف أو التقدم وربما يقصد أيضًا بالجوع الجوع العاطفي الخالي من المحبة والمفتقر للوئام بين البشر – كما ترى الباحثة-

هـ- إذن فرويد هو الفلسفة والتربية وعلم النفس والأنثربولوجيا وعلم الاجتماع, إنه المخزون المعرفي للعلوم الإنسانية, والتي لاشك في صلتها بالتاريخ والحضارة, إنه التوظيف الممعن في التفاصيل والرابط بين الخطوط كلها لاستجلاء نقاط التوازن المعرفي الفرويدي.

و- وإذا نظرنا إلى فرويد والآداب المختلفة فهل يمكن لنا اعتباره أديبًا- وهنا ترى الباحثة- الإجابة بنعم وذلك لأنه لا يمكن أن يكون فرويد المتحدث الحقيقي عن الشعور واللاشعور وكوامن النفس دون أن يكون لذلك أشد الصلات قوة بالفنون مثل الآداب كالقصة والشعر والمسرح, وذلك باستلهام ما في باطن النفس الإنسانية الزاخرة بالمشاعر .

ومن وجهة نظر الباحثة – فقد كان لفرويد الفضل الأول في كيفية رسم الفنانين أحلامهم بعمق وبساطة في الوقت نفسه.

ز– ومن هنا تؤكد الباحثة خطورة التأثير الفرويدي السابق من زاوية أن الفن هو أحد أهم دعائم الحضارة الإنسانية؛ فرقي الأمم يظهر من خلال رقي فنونها إنها حضارة الإنسان حضارة الروح والخيال والحلم والحب.

والسؤال :هل المتعة النفسية للأعمال الفنية ذات البعد الفرويدي ليست من أسس الحضارة؟ الإجابة (لا)؛ لأنها حضارة الصفاء النفسي والمتعة المتراكمة والمتنوعة كمًا وكيفًا عبر أعمال فنية تنتصر للإنسان فيصير الإنسان قادرًا على استكمال مشروعاته وتقدمه الإنساني.

١) <u>البعد النفسي لفرويد من المرأة (النظرة الحضارية للمرأة)</u>

أ– أنه فرويد الحب (العاطفة) – الرغبة الجنسية فالحب عاطفة إنسانية جامحة مسيطرة غالبة, ويرى فرويد أن الأساس في شعور الإنسان بالحب هو الرغبة الجنسية sexual Desire أما شعور الرجل بالأمان سببه عند فرويد هو فقدان العاطفة تجاه المرأة بسبب الوفاة أو الانفصال عنها.

وهنا – ترى الباحثة أن ذلك يدل على تهميش موقف الرجل من الحياة – بصفة عامة – رغم أهمية المرأة في حياته إلا أنها ليست البُعد الأول والأخير في حياة الرجل فهناك ألوان أخرى وأشكال من الحب عند الرجل مما جعل فرويد يصل إلى التسامي sublimation

ب- إذن ما هي علاقة التسامي بالتحضر والسلوك الأخلاقي البعيد عن (الجنس)؟ الإجابة هي الالتصاق بالآخرين مستبعدًا المرأة كجنس, والتعامل المتحضر معها والتعامل أيضًا مع المرأة كإنسان مختلف في النوعية عن الرجل – كما ترى الباحثة –

ج- إنه الإبداع والخلق الحضاري الحقيقي, ومن هنا يجب التنويه إلى موقف فرويد الخاص والمتفرد جدًا من المرأة وسيرة نسائه الذين تعرف عليهم وممارسته لأسلوبه في التحليل النفسي لهم تلك نقطة في غاية الأهمية.

د- الأم في حياة فرويد – كانت هي الحب الأول وحبه الأول باقتدار حيث يطغي حب الأم على حب الزوجة .. وترى الباحثة إذا نظرنا بعمق – إلى طفولة فرويد سنجد الملاذ الدائم لفهم شخصية فرويد وعلاقته بالمرأة وينكشف الغامض والمستور والميول الغريبة له فقد عاش الانحراف العاطفي, كما كانت (مارتا) خطيبته ذات أثر بالغ عليه برسائله الغرامية لها.

هـ- ومن معاركه النسائية أنه يريد (مارتا) أن تكون متواصلة مع آرائه ومشاعره ولكنها لم تكن كذلك بل كان لها شخصيتها المستقلة .. وهنا ترى الباحثة أن خطأ فرويد يمكن أن يُختصر في الانغلاق وليس الانفتاح, ودليل ذلك أنه يريد أن تكون المرأة صورة مكررة من الرجل الحبيب (أي صورة فرويد) . ألا يدل ذلك على الوضع غير المتحضر للمرأة عند فرويد؟

و- كما يؤكد فرويد على ضعف مكانة المرأة عنده في حين أن التقدم الحضاري – كما ترى الباحثة- يصنع للمرأة مكانتها وكينونتها فهي بالفعل نصف المجتمع , وليست نصف رجل.

ز- فرويد وتحرير المرأة : نرى فرويد يتهكم من آراء جون ستيورات مل في مقالة بعنوان (تحرير المرأة) فيرد فرويد على مل بقوله أن النساء كائنات مختلفة وليست كائنات دنيا وإنما هي على النقيض من الرجال، ويرى الخطأ عند مل في وضع المرأة في موازاة مع وضع العبد slave

ويرى فرويد أن الصراع من أجل الحياة على قدم المساواة equality مع الرجال محكوم عليه بالفشل، وبالتالي فإن فرويد ضد أن تكون خطيبته منافسة له فهو يناشدها بالتخلي عن ميدان المعركة والاكتفاء بأعمالها المنزلية فهذه الأعمال هادئة وهي بعيدة عن كل منافسة competition ، ويعد هذا موقف attitude فرويدي حاسم .

ح- وهنا تحاول الباحثة تحليل أفكار فرويد بصدد المرأة؛ من حيث أن المساواة بين الرجل والمرأة هو حق إلهي ودستوري واجتماعي إلا فيما يتعلق بالتشريح الجسدي والقدرات المتفاوتة ... ولكن هذا لا يمنع -أبدًا- من تفوق المرأة على الرجل في مجالات معينة, ولذلك نرى أن نظرة فرويد إلى المرأة نظرة دونية يملأها الاستخفاف بمكانها ومكانتها لأنها تحقر من المرأة وترفع من شأن الرجل ... والسؤال كيف تقوم حضارة المعنى والإنسانية وفي ذات الوقت الذي تهمش فيه المرأة وتوضع فيه وكأنها عبث vanity لا جدوى من ورائه؟

أم هي فقط أضغاث أحلام فرويد؟ إنها الأحلام المريضة نفسيًا وفرويد هنا يقدم لنا العداء enmity للمرأة دون سابق إنذار والعداوة تصب في خانة (ضد الحضارة) حضارة الحب والمشاركة, فالحضارة عند فرويد هي حضارة الإنسان رجل وامرأة معًا ... وهذا الوضع المهين للمرأة لا يصنع تقدمًا حضاريًا .. وهنا نخاطب فرويد وحده.

ط- موقف فرويد من تهميش وتقوقع المرأة

يرى فرويد أيضًا أن المرأة هي الفتنة والعذرية والجمال معلنًا فرويد عن وضع المرأة في إطاره الخاص (الإطار الفرويدي)

وهنا تتساءل الباحثة موجهة هذا السؤال لفرويد ؟ هل من المستحيل أن تجمع المرأة بين الفتنة والعذرية والجمال (وهي صاحبة حق في ذلك)، وفي ذات الوقت تسعى إلى العمل والنجاح والتعقل والإبداع؟

إن جمال المرأة بلا عقل هو مسخ بلا وجود فكيف هذا وفرويد نفسه يقدر العقلانية في بحوثه النفسية.

ولذلك وتدعيمًا للقول السابق يرى فرويد المرأة في الشباب (لذيذة رائعة) وفي سن الرشد (زوجة محبوبة) فنقول له وهذا كفى يا فرويد؟ بالطبع ألف لا.

ي- العلاقة بين النظرة السطحية للمرأة والمجتمع

بالفعل أنها النظرة الدونية والتي لا تصل إلى عمق المشهد أبدًا؛ فإذا حدث ذلك في مجتمع ما فإنه يكشف عن ضعف هذا المجتمع ودونيته وقصوره الذهني، أما المجتمعات الأخرى المتقدمة فقد قطعت شوطًا بعيدًا في مسألة المساواة في الإنسانية؛ ولذلك فهي تُعلي من قيمة المرأة ولا تحصرها في مجال واحد فقط وهو (الأمور المنزلية) .

ولذلك فمن العجب العجاب أن نرى اليهودي يبتهل إلى الله ويقول أشكرك يارب لأنك لم تخلقني امرأة.

لا تعليق لدينا على هذا السخف وهو نفس ما تبناه فرويد (اليهودي)؛ وإذا كان هناك ثمة تعليق فهو أعطى للمرأة حقوقها الدستورية كاملة وكافة فرصها التي من شأنها أن تحقق للعلم والاكتشافات العلمية والإنسانية كثيرًا من المآرب .. أرجوكم

افسحوا المجال لكي نخرج من هذا القمقم، إذن فالمرأة – كما تراها الباحثة– ليست تابع مخلص كما يراها اليهودي بل هي بالأحرى مبدع حر كما تراها الإنسانية كلها.

٢)موقف فرويد من التربية والأخلاق

موقفه من التربية: فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي والتي لها وشائج قوية بالتربية Education فهل يمكن لنا استبعاد المفاهيم التربوية الحقيقية عند فرويد من مساحة الحضارة والتقدم ؟ سؤال الباحثة، والإجابة لا.

- أعتقد أن فرويد تأثر بأفلاطون؛ حيث العالم العلوي (العقلي المثالي) والعالم الأرضي (الواقعي المحسوس) وبالتالي أتقن فرويد فنون التسامي وعشق فنون التربية تربية النشأ أسريًا واجتماعيًا.
- كانت له نظرية في كيفية تسامي الإنسان على غرائزه ومطامعه حتى يصل إلى حضارة التجاوز عن التفاهات منحازًا إلى حضارة المعنى والمضمون والعلو– كما ترى الباحثة–
- ومن هنا كان تأصيل التربية موقف فرويدي سيكولوجي, فقد ربط بين العدوان وعلم النفس, ومن هنا – نراه – يؤكد أن التربية الحقيقية تدعو أطفالنا إلى كبح النوازع نحو الشر والعدوان والبعد عن العنف القاتل.
- إن للثقافة دورًا مهمًا في التربية (إنها التربية الثقافية على نحو ما) إن الثقافة– كما نعلم ويعلم الجميع– هي جزء أصيل من الحضارة ولذلك لها دورٌ محوريٌ لأنها تحول الإنسان من المسألة الطبيعية بما فيها من ظلم وقهر وغياب للحريات إلى حالة أخرى موازية وهي حالة العدالة والتحرر من الداخل والخارج .. إنه فرويد عالم نفس الحرية الذي أطاح بالضرورة والجبرية معلنًا عن ثقافة تربوية قادرة على التطور بمنطلقات نفسانية جديدة وهي (التحليل النفسي) ومن هنا – كما ترى

الباحثة– فإن فرويد يتعامل مع هذه المسألة وكأنه ضد العودة للطبيعة return to nature التي قال بها جان جاك روسو, فليس العودة إلى الطبيعة هي الأسمى بل العود القهقري إلى مرجعيات أصبحت غير صالحة اليوم أي غير صالحة للتعاطي الآدمي ولكن سيظل للتربية مكانتها الحضارية.

موقفه من الأخلاق: إذا كان البعد النفسي الأخلاقي لفرويد هو الخير والشر وغرائز الأنانية, إذن سيكون السؤال هو : ما هو الجديد الذي قدمه فرويد في هذا الشأن؟

اعتمد فرويد على الطاقة الرمزية symbolic energy الموجودة في الأساطير وكأنه يعود بنا إلى العصر الميثولوجي وعلاقة ذلك بقضايا الوجود الإنساني وسلوكيات البشرية.

وسؤالنا له أيضًا إذا كنت يا فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي القائمة على الملاحظة والتجارب، فكيف تكون الأخلاق عندك ذات بعد أسطوري خرافي سحري؟

وباختصار فإن الحضارة عند فرويد هي حضارة السعادة، فلا يمكن أن يكون الإنسان متحضرًا أو تعيسًا باحثًا عن الأسطورة والسحر فقط والحقيقة هي في ترشيد الغرائز والشهوات وتهذيب النفس, إنه السمو الأخلاقي والتسامي الذاتي على الواقع المريض – كما ترى الباحثة–

وهنا تسمي الباحثة أخلاق فرويد (بالأخلاق الإحباطية) لماذا؟ لأن الأخلاق عند فرويد هي التي تحبط الغريزة وتشحب نهمها وكأن الأخلاق هنا (قمعية) قائمة على القمع (قمع مبدأ اللذة) والمتطلبات النفسية الشهوية... ألم يسأل فرويد نفسه ماذا يحدث لو تُرك الإنسان يمارس كل غرائزه ونزواته منساقًا نحو اللذة المطلقة قريبًا من الحيوانية بعيدًا عن الإنسانية؟ فهل هنا يجد الإنسان ضالته ويصل إلى السعادة وتقدمه الإنساني الحضاري؟ بالطبع لا

وترى الباحثة هنا أن الحياة كفاح struggle والأخلاق أيضًا كفاح صراع مستمر من أجل البقاء الأفضل ولذلك فنحن كبشر نتنازل عن رغبة وفرحة مؤقتة في سبيل سعادة دائمة وروحانية بالغة ... إنه ناموس الحياة الفاضلة.

وسؤالنا لفرويد هل يأسف فرويد على ضياع الغريزة الجنسية المباحة دائما في سبيل التقدم الأخلاقي والحضاري ؟

وهنا فقط يظهر الضمير conscience الفرويدي إنه اليقظة الملموسة إنه الهروب من النوم والحلم إلى الواقع, إلى اللحم والدم.

٣)موقف فرويد من الدين (الإيمان والإلحاد)

- من المعروف كما ترى الباحثة – أن للدين القدرة على التماسك النفسي والأخلاقي, فهل يمكن ألا يكون للدين موقفٌ حضاريٌ عند فرويد ؟ هذا الموقف الذي يتعلق بالأخلاق والتسامي والقدرة على التطور...
- الحقيقة أن فرويد لديه توجه ديني فهو ينظر بعناية إلى العناية الإلهية divine providence التي تشمل الإنسان كأنها لديها القدرة الفائقة على التعويض عن النقائص والآلام التي لحقت بالإنسان وذلك على الرغم من أن كتاب فرويد (موسى والتوحيد) يُعد انحرافًا عن الرؤية السابقة له, وربما يكون ذلك – عندنا– بسبب توجه فرويد اليهودي وانتمائه إلى اليهودية كديانة وموقف ...
- وفرويد هنا – كما نراه– عقلاني للغاية لا يرتفع عن مستوى الواقع, حيث المشاهدة والملاحظة المادية ولكن الدين – رغم ذلك – يقبل وبكل جادة بحوث السيكولوجية.
- ألا يعلم فرويد أن هناك علاجًا بالتدين والتطهر من الذنوب (وهناك شعور ديني ونفساني قوي) إذن فالذنوب هي أسباب الأمراض, فالنفوس القوية والشريعة تقترب دائمًا من العالم الروحاني (عالم الإله) .. ولذلك نرى أن هناك من خرج على أفكار

فرويد في هذا الشأن ومنهم أدلر ويونج فلا ديمومة duration لأفكار فرويد ولا مضمون No content لها فليست أفكاره مطلقة بل قابلة للنقاش.

- ومن المعروف أن المرض النفسي psychological disease ما هو إلا تعبير مباشر عن أفكار لا شعورية أكثر من الشعور نفسه، لأن هناك الشعور الظاهر وما وراء الشعور (اللاشعور الباطن) الذي يتحكم في الشعور فهل يمكن لنا اعتبار اللاشعور هو ميتافيزيقا الشعور عند فرويد ويدخل فيه الجانب الديني– إن صحت تعبيراتنا هذه؟
- وفي الحقيقة إن فرويد لم يستطع أن يمنع نفسه من التصريح بتأثير الدين الشديد على الناس, وأن الدين قدم للثقافة خدمات جليلة, فالدين هو القائد الذي قمع الشهوات والملذات اللاشعورية فحقق الدين السعادة للبشرية (وهذا قول مقبول عند الباحثة) .

ثم نجد فرويد ينتقد الدين الشكلي formal religion ؛ ويقصد بذلك من يؤكدون انتمائهم إلى الدين رغم ارتكابهم خصائص الشر والخديعة واللاأخلاق (وهذا مقبول عندنا أيضًا) .

ولكن سؤالنا هل معنى ذلك سلب الدين لقدراته على البشر ؟ بالطبع لا .

وهنا – وطبقًا لرؤية فرويد في الدين– نراه يربط بين الدين والسعادة والمرض النفسي (كما قلنا) أي بربطه بالتحليلات النفسية– بصفة عامة– سلبًا وإيجابًا.

وترى الباحثة هنا وجود شبهة تناقض وتذبذب في آراء فرويد الدينية، كما تؤكد على أن الدين بمثابة الجانب الروحي المهم في الحضارة، فالحضارة ليست تكنولوجيا واكتشافات فقط بل هي دين وأخلاق وثقافة.

٤) فرويد والسياسة (البعد النفسي للحرب والموت):

أ- ترى الباحثة أن الحرب والسلام عند فرويد نابعان من صراعات نفسية مكبوتة حيث يتغلب أحدهما على الآخر، إنها فلسفة الحياة والموت وأيضًا سيكولوجية الحياة والموت – ومن هنا- لم يخش فرويد من دخول الرغبات الجنسية (قوة الليبيدو) المكمونة في ذلك فهو – أي فرويد – عالم نفس الليبيدو .

ب- وربما يكون فرويد قد كرس هذا المفهوم السيكولوجي لخدمة اليهود وسيكولوجية اليهودي ... وهنا يجب أن ننتبه إلى الأصل اليهودي الصرف لفرويد؛ حيث يقول فرويد (إنها الغيرة العربية من اليهودي) وهذا الكلام باطل عندنا بكل المقاييس

ج- كما أن علينا أن ننتبه إلى الاختلاف الشاسع بين الكفاح **struggle** والحرب **war** ؛ فالكفاح دائم من أجل الحفاظ على المكتسبات وتطويرها، والحرب واضحة في حالة الوصول إلى طريق مسدود طريق اللاعودة بقتل كل منافذ التواصل، إذن – كما ترى الباحثة- إن جدلية الحرب والسلام عند فرويد ذات البعد النفسي والمتعلقة بالغرائز (تحليل رائع) ولكن يشوبه بعض التعصب الخاص بالعنصرية والصهيونية الممقوتة, كما أن هذا التحليل يُظهر فرويد بصورة المتزمت stringent .

د- وإذا نظرنا إلى عيوب فرويد في مسألة الحرب سنرى أنه ترك – نهائيًا- العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية كعوامل مهمة في شن الحروب؛ لأنها عندنا تقف جنبًا إلى جنب مع عوامل فرويد النفسية.. إنه التوحش الاقتصادي واستعمار الأراضي, بل والتوجه السياسي للبلد الُمستعمِرة .

أما فيما يتعلق بسيكولوجية الموت؛ فنقول لفرويد أنه من الخطأ النظر إلى الموت من الخارج، ولكن لا نستطيع أن نفعل غير ذلك؛ لأنه ليس موتنا (الداخلي) بل

موت الآخر (الخارجي)، وترى الباحثة أنه ليس لدى الإنسان الحي سوى أن ينظر إلى الموت بهذا الشكل, لأنه موت الخارج وليس الداخل.

هـ- والموت كما ترى الباحثة هو تجربة إنسانية وأيضًا فردية ذات طابع خاص، ولكنها في الوقت نفسه عامة على كل البشر, فكل البشر يموتون ولكن (بتجاربهم الخاصة يستقبلون هذا الموت).

و- وفي النهاية فإن التحليل النفسي لديه القدرة الفرويدية على التخفيف من الجرائم والموت والقتل العمد؛ وذلك بالمعالجات النفسية والتدريب الدائم على السلام الدائم والتجارب المباشرة على الناس؛ من أجل الوصول إلى سلوك حضاري راقٍ بعيدًا عن الحرب والموت مستقبلًا للسلام والحياة عبر دراسات نفسية ناجحة.

٥) فرويد – الثقافة – الحضارة (حضارة الفنون والجماليات)

أ- ترى الباحثة أنه لا يمكن التشكيك في البعد النفسي للحضارة وخاصة إذا أدخلنا الميتافيزيقي والدلالي واللاشعوري في التكوين الحضاري .

ب- ينظر فرويد نظرة فاحصة متأملة ومتمعنة في العلاقة بين الحضارة والثقافة من زاوية تطور الإنسانية من الفردية إلى الجماعية ومن الأثرة إلى الإيثار إنها القوانين التي تُسن من أجل صالح البشرية كلها وليس فردًا بعينه .. وهنا ترى الباحثة أنه إذا كانت العلاقات الاجتماعية هي تحريك إنساني نحو الأكمل والأفضل .. إذن هذه النوازع الإنسانية عند فرويد من إنسان الأنا إلى إنسان النحن أسهمت بشكل مباشر في التطور الثقافي وبالتالي الحضاري, إنها الحياة المستقرة التي من شأنها أن تقدم لنا الكمال بل وأفضل ما يمكن.

إن الاستقرار المادي والعاطفي هو ما يقدمه لنا علم النفس المعاصر من أجل التقدمية والتطور, فالحضارة هي التعبير المتكامل عن ثقافة متميزة ومتفردة من نوعها شكلًا وقوية مضمونًا.

ج- وفي الحقيقة هناك من يساوي بين الثقافة والحضارة وهناك من يقول أن الثقافة ذات طابع فردي وتنصب على الجوانب الروحية, أما الحضارة فهي ذات طابع اجتماعي ومادي وفي الحقيقة –عندنا- أن الحضارة لا تفصل أبدًا بين المادي والمعنوي(حضارة المادة والروح).

د- وهنا نحاول استجلاء الفن والجمال في حضور الثقافة والحضارة, فإذا كان الفن هو الإبداع والخيال الفني المستمر في كل الفنون, فقد كان الفن عند فرويد عبارة عن التنفيس أو التفريغ aberration/catharsis عن المكبوتات في شكل فنون أصيلة وتعبيرات رمزية وصادقة تصدر عن رغبات غائرة وعميقة في النفس البشرية وخاصة فيما يتعلق بالرغبة الجنسية واستحواذها على الإنسان كلية من الطفولة وحتى نهاية عمره.

هـ-والسؤال هو هل يوجد فن معين عند فرويد قادرٌ على التنفيس عن الرغبات الداخلية؟ الإجابة لا؛ لأن كل الفنون قادرة على ذلك أي على إظهار الباطن على الظاهر للتقليل من ضغوط المكبوتات إذن كل الفنون تنفسية سواء فن تشكيلي (نحت – رسم – هندسة معمارية) أو فن إيقاعي (موسيقى – رسم – شعر) أو حتى الفن السابع إلى الفن السينمائي, وبذلك يمكننا القول أن فرويد قدم لنا في الفن ما يشبه الشفرات blades إنها الشفرات النفسية ومحاولة.

ومن المعروف أن الفن أحد مظاهر الحضارة الراقية والمتطورة ومع الفن توجد الأخلاق والدين، ويؤكد فرويد على قيمة الأنا الأعلى superego وهي عنده الضمير إنه الضمير الأخلاقي والفني . ومن هذا المنطلق نجد العديد من الدراسات النفسية التي أجريت على فنون متعددة لمعرفة مكمن ومبرر استخراج هذا الفن أو ذاك على هذا الشكل والطراز الفني.

إذن النصيحة الأساسية التي يقدمها علماء النفس وعلى رأسهم (فرويد): هي كيف كان وسيكون علم النفس دائما جزءًا جوهريًا لتقدم حضارتنا بل وأيضا استمرارها ورقيها بدراسة الإنسان بكافة مستوياته.

٦) آراء وانتقادات مع أو ضد فرويد :

أ- كان لابد لفلسفة فرويد التحليلية النفسية أن تتعرض للنقد والمواءمات الشخصية؛ وذلك لأن أي نظرية معرفية عامة أو نفسية خاصة لابد أن تشتبك مع قناعات الآخرين وليس في هذا أي ضرر, بل بالعكس يزيد هذه المنظومة النفسية رسوخًا وقوة لأنها أثارت جدلًا واسعًا, مما أدى إلى استخراج كل مكنوناتها وقراءة ما بين سطورها والتعامل بحرص مع كل تفاصيلها.

وخاصة إذا كان العقل اللاواعي عند فرويد هو صلب مذهبه وأساس تحليلاته النفسية, ومن اللاوعي إلى الوعي يظهر الإنسان عند فرويد على حقيقته بكشف المستور.

ب- **فرويد والتراث اليهودي** : لا يوجد أي حرج في استخدام فرويد للتراث اليهودي (فهو يهودي الأصل) وهذا التراث موجود منذ قرون عديدة ما دامت المسألة – عند الباحثة- لا تصل إلى المجالات السياسية والقدرات الاستعمارية لليهود وخلق نوع من الصهيونية المتسلطة على الآخرين, إذن فلنأخذ ما نراه مناسبًا لنا ونبتعد عما يخالف قناعتنا وهويتنا, إذن لا ينبغي أن تحمل أفكار فرويد النفسية فوق طاقتها إلا إذا وجدنا ذلك معلنًا في إطار طاقاتها وتوجهاتها الأيديولوجية.

ج- أفكار فرويد ديناميكية وليست إستاتيكية إذن النظرة الإستاتيكية لأفكاره تجعلنا نُهدر كثيرًا من قيمتها الشخصية والإنسانية – بشكل عام- إذن فكل شيء يجب أن يوضع موضع الجدل والنقاش واستخراج أفضل ما فيه – مع التحذير بعدم قلب الحقائق لصالح فرويد ونقصد بذلك التحليل النفسي الفرويدي، وما بين الروحي

والمادي تجاذب الآخرون آراءهم حول الفرويدية بالدلائل والقرائن, حتى صار من أنصار فرويد من يشكك في نظريته عن الليبدو نفسها وهي قلب علم النفس التحليلي الفرويدي – مثلما فعل يونج.

د- هل يمكن اعتبار فرويد كشفًا جديدًا؟

الإجابة نعم وخاصة بعد أن كرس الدلالات النفسية الإنسانية لأفعال كثيرة مثل فلتات اللسان وذلات القلم والنكات حتى أحلام اليقظة والنوم waking and sleep dreams أصبحت وكأنها حلقة دراسية seminar في علم نفس فرويدي.

وكل هذه الأشياء لها نتائجها الاجتماعية والتاريخية والحضارية, فبعد أن كان يُنظر إليها على أنها أفعال عادية ليس لها مضمون نفسي أو اجتماعي (بل هي في طي الكتمان) أصبحت ذات شأن ودلالات معرفية خطيرة في حياتنا.

هـ- ولذلك يمكننا اعتبار فرويد فيلسوف الرمزية النفسية psychological symbolism فقد حلل الرموز ووصل إلى ملامحها ووظفها لصالح الإنسان ... إنه عالم من الرموز والتحليلات والتفسيرات, والكشف الماورائي عند فرويد (المحلل النفسي) ليصير الإنسان سويًا نفسيًا وحضاريًا متقدمًا من الداخل والخارج – كما ترى الباحثة-

كما أنه في الوقت ذاته يعلن إيمانه المطلق في العقل والعقلانية إلى ما لا نهاية , فالعقل يقف – بصدق شديد- في مواجهة العالم كله, بل ومواجهة كل الموجودات بالعقل إذن- تراه الباحثة- ضرورة وجود وحرية أفعال.

و- والسؤال هنا هل استطاع فرويد أن يقدم لنا مفتاحًا جديدًا New key للبحث في الحضارة، وهذا المفتاح هو علم نفس الإنسان بشعوره ولا شعوره بوعيه ولا وعيه

بحيث يصبح دخول علم النفس في تشكيل الوعي الحضاري هو المدخل الأمثل والطبيعي والأصيل فيها؟

الإجابة بلا شك (نعم)؛ لأن الباحثة ترى قدرة تأثيرية عالية المستوى من علم النفس على الحضارة، وقد تم ذلك من خلال الدراسة السابقة بكل تفاصيلها.

إنه يقف بحزم أمام اللحظة الفارقة في التكوين الحضاري وهي (اللحظة النفسية) ومدى قدرة الإنسان النفسية على التطور الخلاق.

ز- أما إذا نظرنا إلى الحضارة – بصفة عامة – نجدها غير مستبدة بل ديمقراطية إلى أقصى حد، ولكن الباحثة ترى أن فرويد نفسه كان مستبدًا في آرائه فهو لا يقبل الرأي والرأي الآخر وفي هذا قمة التناقض والتذبذب في الآراء فكان يجب على فرويد أن يعيش أفكاره وأن يكون جزءًا لا يتجزأ منها للدلالة على النزاهة الفكرية.

ح- أما إذا نظرنا إلى شخصية فرويد نفسه بين البسيط والمركب نجده شخصية مركبة ولا نقول معقدة complicated وهي تستلزم منها – كما نرى- إعمال العقل لتفهمها وهو متمردٌ عاشقٌ للذات الإنسانية باحثًا في أغوارها مستلهمًا منها – أيضًا – ظواهر وجودها وانعكاساتها على الواقع المعيش ... إذن فقد كان فرويد موضحًا تصورات الكمال في الحضارة من منطلقات نفسية ... أي كيف يمكن تصور مستقبل الحضارة في ضوء التحليل النفسي الفرويدي, إنه سؤال عميق في جذوره، مستقبلي في أهدافه، تنبؤي قدر الطاقة...

ط- لقد حاول فرويد – بجهد كبير- أن يضع لنا الشكل الأمثل للدولة المتحضرة وهل الشعور النفسي بالاغتراب الذي تؤدي إليه الحضارة (جانب سلبي للحضارة) يقضي على فاعلية علم النفس الفرويدي؟ وهل عقلنة الحضارة عند فرويد (استخدام العقل في الحضارة) جعل منها حضارة عقل فقط وأهملت جوانب أخرى؟

الحقيقة –عندنا– أن فرويد حاول أن يحصر الحضارة في عاملها الأساسي وهو (علم النفس) ولكن الحقيقة أنه لم يستطع ذلك ومن هنا كان إدخال الثقافة والدين والفن والسياسة في الحضارة فتهميش الحضارة في جانب واحد هو قضاء فعلي عليها.

ك– ولذلك نرى أن فرويد استطاع من خلال علم النفس والسياسة والثقافة وغيرهم توظيف كل المجالات والتخصصات بل ومناهجها المعروفة في صناعة التطوير الإنساني الحضاري المتكامل الأركان وسواء اتفقنا معه أو اختلفنا فهو في النهاية (كما نرى) قدم لنا رؤية نفسية (ببواعث فرويدية) في صالح الإنسان فهو يريد أن يعيش الإنسان حضارة السلوك وليس فقط معنى السلوك.

وفي النهاية يمكننا القول : أن فرويد هو درس عميق في السلوكية behaviorism والتأثر الوجداني affection، ومن هنا كان تأثيره على الحضارة عميق للغاية وكأنه ولادة تحليل نفسي جديد بصبغة حضارية, فكل عصر من عصور الحضارة يتميز بحياته النفسية الخاصة به.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

١. سيغموند فرويد : **الطوطم والتابو** , ترجمة : بو علي ياسين, دار الحوار, ط١, سوريا, ١٩٨٣

٢. سيجموند فرويد : **الحب والحرب والحضارة والموت**, ترجمة : د. عبدالمنعم الحفني , دار الرشد, ط١, القاهرة, ١٩٩٢

٣. سيجموند فرويد: **لماذا الحرب**, ترجمة : عبدالكريم ناصيف, وزارة الثقافة, العدد ٢٩٩,٢٩٨, القاهرة, ١٩٨٧,

٤. سيجموند فرويد : **رسائل فرويد**, ترجمة: نسرين ناضر, الجمعية الفلسفية المغربية , العدد ١٣, المغرب, ٢٠٠٦

٥. سيغموند فرويد : **الغريزة والثقافة (دراسات في علم النفس)**, ترجمة : حسين الموزاني, منشورات الجمل, ط١, بيروت, ٢٠١٧

ثانيًا : المراجع

٦. _____ : **فلسفة الحضارة** , وزارة الثقافة , العدد ٦٢٣, القاهرة, ٢٠١٥

٧. أحمد شوقي إبراهيم : **نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي** , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, العدد ٢٠٢,القاهرة, ١٩٨١

٨. أحمد عبدالرحيم السايح : **الثقافة والحضارة**, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, العدد ٣٧٥, المغرب, ١٩٩٧

٩. أسعد طرابيه : **فرويد ماله وما عليه**, وزارة الثقافة , العدد ٦٣١, القاهرة, ٢٠١٦

١٠. بسمة بنت أحمد بن محمد : **التحليل النفسي عند فرويد** : دراسة نقدية في ميزان الاسلام , مجلة الدراسات العربية, المجلد الرابع العدد ٢٠ , المنيا, ٢٠٠٩

١١. بشارة صارجي : **بنية الظاهرة النفسية عند فرويد**, مركز الإنماء القومي, العدد ٢٣, بيروت, ١٩٨٣

١٢. بول روزان : **ثلاثة فلاسفة حللوا فرويد (فيتغنشتاين , ألتوسير, بوبر)**, مؤسسة ريم وعمر الثقافية, العدد ١, القاهرة, ٢٠١٨

١٣. ج . ب. بونتاليس : **سارتر يحاكم فرويد**, ترجمة : على الخش, اتحاد الكتاب العرب, العدد ٥١,٥٠ , دمشق, ١٩٨٧

١٤. جمال بروال : **الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزوالد اشبنجلر**, رسالة ماجستير غير منشورة, إشراف أ.د/ عبدالمجيد عمراني, جامعة الحاج لخضر باتنة, الجزائر, ٢٠١٢

١٥. حسام الدين محمد فياض : **نقد ماركيوز لمفهوم الحضارة في المجتمع الصناعي المتقدم** "حواره مع فرويد", مركز العبيكان للأبحاث والنشر, العدد ٣٤, ٢٠٢٢

١٦. حسين مؤنس: **الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها)**, سلسلة عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ١٩٨٧

١٧. خالد محمد أبوالفتوح : **الحضارة**, المنتدى الإسلامي, المجلد ١٣ العدد ١٤٦, عمان, ٢٠٠٠

١٨. ريمة محمود الحصري : **فرويد والتحليل النفسي**, مجلة التربية, العدد ١١٨, سوريا, سبتمبر , ١٩٩٦

١٩. سعاد حرب : **فرويد ونيتشه** , مجلة الملتقى, العدد ١٦, المغرب, ٢٠٠٧

٢٠. سماح دحماني : **ابستمولوجيا التحليل النفسي عند سيغموند فرويد,** رسالة ماجستير, اشراف: بازة الحاج, جامعة المسيلة, الجزائر, ٢٠١٧

٢١. سيجموند فرويد : **البحوث الاجتماعية : دراسة سيكولوجية تنشر لأول مرة وودرو ويلسون**, ترجمة: هاني الراهب, العدد٦١, وزارة الثقافة , القاهرة,

٢٢. شريف الدين بن دوبة : **الفهم الفلسفي والنفس: قراءة جينيالوجية**, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, العدد ٣٤٥, القاهرة, ٢٠١٥

٢٣. صبرينة محمد بلقاسم : **قراءة المقاربة الاتصالية الرقمية على ضوء نظرية التحليل النفسي عند سيجموند فرويد**, مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع , العدد ١٩, الجزائر , ٢٠٢٠

٢٤. صفوان قدسي : **فرويد اليهودي وفرويد الصهيوني** , وزارة الثقافة, العدد ١٧٣, القاهرة, ١٩٧٦

٢٥. عاهدة طالب الامين : **فرويد بين العقلانية والدين**, مركز الإنماء القومي , المجلد ٢٧, العدد ١٣٤،١٣٥, بيروت , ٢٠٠٦

٢٦. عبد محمد محمد بركو : **دفاعًا عن سيغموند فرويد** , وزارة الثقافة , العدد ٥٧٠, القاهرة, ٢٠١١, ص ٣٤٤

٢٧. علي أسعد وطفة : **الأسس الرمزية والأسطورية لنشأة الأخلاق في سيكولوجيا فرويد,** وزارة الثقافة, العدد ٥٦٦, القاهرة, ٢٠١٠

٢٨. علي عبدالحفيظ مرسي : **مقدمات في الدراسات الثقافية والنقد الجديد**, مجلة الدراسات الانسانية, المجلد ٥, العدد ١٥, كفر الشيخ, ٢٠١٨

٢٩. غسان بديع السيد : **سيغموند فرويد ونظريته في التحريم**, وزارة الثقافة, العدد ٧٠٩,٧٠٨, القاهرة, ٢٠٢٢

٣٠. ف. ت. موار: **فرويد أو الغرائز ضد العقل**, ترجمة : محمد أسليم , مركز الإنماء القومي, العدد ١٣،١٤, بيروت, ١٩٩١

٣١. فاليري ليبن : **فرويد : التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة**, ترجمة : زياد الملا, جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي, المجلد ٢٦, العدد ٢٦, الكويت , ١٩٩٨

٣٢. قدري حفني : **سيغموند فرويد والصهيونية**, منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث, العدد ١٩٤, ١٩٨٩

٣٣. مجدي أحمد عبدالحافظ : **كتابات لم تنشر** : فرويد ما قبل فرويد , حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي , المجلد الثامن العدد ٧٤, القاهرة , اكتوبر ١٩٩١م

٣٤. محمد خيدون : **الأخلاق والحضارة عند فرويد ودوركايم** , مركز جيل البحث العلمي , العدد ٢٧, الجزائر, ٢٠١٧

٣٥. محمد عبدالأمير جابر : **القمع والكبت عند فرويد ورايش** , مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, المجلد ٣, العدد١٦, الجزائر, ٢٠٢١

٣٦. مرسلينا شعبان حسن : **حول عودة المكبوت**, مجلة نحو لياقة نفسية أفضل لحياة طبية, العدد ٢٢, ٢٠٢٠

٣٧.مصطفى رضوان زيور : **عبقرية فرويد** , مركز الإنماء القومي , العدد١١, بيروت , ١٩٨١

٣٨.معاذ قنبر : **الفلسفة في التحليل النفسي** : فرويد ويونغ كنموذج, وزارة الثقافة, العدد٥٢٨, القاهرة, ٢٠٠٧

٣٩.منصور أحمد أبوخمسين : **نظرية فرويد وأثرها في البحث التاريخي**, اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة, العدد الثاني, القاهرة, ١٩٩٤

٤٠.منى فياض : **الدين والعلم في الحضارة الغربية : نموذجان من مدرسة التحليل النفسي : فرويد ويونغ** , دار الكوثر , المجلد ٣, العدد ١٢, دمشق, ١٩٨٩

٤١.ميشيل أونفراي : **من أسرار فرويد : ميشيل أونفراي: من كتاب أفول صنم الكذبة الفرويدية**, ترجمة : غسان بديع السيد , اتحاد الكتاب العرب, العدد ١٨٧, سوريا , ٢٠٢١

٤٢.ميشيل كونتا : **التحليل النفسي الوجودي : فرويد, بنزفانغر, سارتر**, مركز الإنماء القومي, العدد ٣, بيروت, ١٩٨٠

٤٣.ناظم مهنا : **تشاؤمية فرويد**, وزارة الثقافة, العدد ٦٦٨, القاهرة, ٢٠١٩

٤٤.نبيهة قارة : **الحقيقة والحرية عند نيتشة وفرويد** , المجلة التونسية للدراسات الفلسفية, العدد ٤٥,٤٤, تونس , ٢٠٠٩

٤٥.نجلاء محمد بسيوني , د. سامح أحمد سعادة : **ضغوط التكنولوجيا وعلاقتها بالاغتراب في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية**, مجلة كلية التربية العدد ١٧٢ الجزء الأول , القاهرة , ٢٠١٧

٤٦.نضال حمارنة : **نساء فرويد : وخواتمه** , حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, العدد ١٥٩, القاهرة, ١٩٩٨

ثالثًا: المراجع الأجنبية

47. Ernest Jones, M.D. : **The Life and Work of SIGMUND FREUD**, BASIC BOOKS, INC., New York,1957

48. Dianna T. Kenny : **Freud, Sigmund**, The University of Sydney, Sydney, NSW, Australia2

49. McEnroe, Francis John (1986) **Psychoanalysis and early education : a study of the educational ideas of Sigmund Freud (1856-1939), Anna Freud (1895-1982), Melanie Klein (1882-1960), and Susan Isaacs (1885- 1948)**. PhD thesis .Submitted by Francis John NIc Enroe, M. A., M. Ed., for the degree of Doctor of Philosophy, in the Department of Education. Faculty of Social Sciences, University of Glasgow .September, 1986.

50. Jeanne Connelly Rellahan: **At home among the Puritans: Sigmund Freud and the Calvinist tradition in America Rellahan**, Jeanne Connelly, Ph.D. University of Hawaii. 1988

51. James Strachey: **The Ego and the Id** ,1927 London: Hogarth Press and Institute of Psycho- Analysis

52. Ruth Zisman: **Displaced Battlefields: Sigmund Freud and the Reading of War Zones** A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy Department of Germanic Languages and Literatures New York University January, 2015

53. Cape and Smith : **Civilization and its Discontents** 1930 London: Hogarth Press and Institute of Psycho-Analysis.

The Relationship Between Civilization and Psychology: Sigmund Freud as a Model (An Analytical, Reflective, and Critical Perspective)

Abstract:

This research seeks to address a broad, important, and highly sensitive question: What is the role of psychology in advancing civilization and providing a significant psychological dimension to culture? It relies on the analytical framework of Freud's psychological theories to uncover the perpetual ambiguity surrounding the human psyche, both conscious and unconscious, as it fluctuates between ascension and descent, with its profound impacts on human life, civilization, and progress.

This progress is closely tied to psychological struggle aimed at emergence and growth. Undoubtedly, civilization is not lame but walks on two legs: the first is material development in all its forms, and the second is spiritual and emotional development, embodied in the human experience in all its dimensions. Psychology, with its content and analytical perspective, serves as an example of this. It represents ambition, transcendence, and aspiration, enabling individuals, through Freudian psychoanalysis, to better confront life's harsh realities, rising above its trivialities to continue the journey of progress and civilizational advancement.

Therefore, this research serves as a comprehensive exploration of various aspects, delving into Freudian subjectivity, the foundations of psychoanalysis, civilization, and culture. Finally, it draws on the psychological dimensions of civilization, encompassing political, ethical, religious, and social aspects, with a special focus on women as a model.

Keywords: psychological, psychological symbolism, spiritual activity, Formal religion, Salvation